# مجلة مركز بحوث و دراسات المدينة المنورة

العدد السابع شوّال –ذو الحجة ١٤٢٤ هـ ديسمبر– فبراير ٢٠٠٤ م


- مركز المناخة الحضري ذاكرة حية لتراث المدينة
- رواد علم السيرة في المدينة
- فخري باشا والدفاع عن المدينة : ملحمة ومأساة
- البيوت التقليدية في المدينة المنورة
  أثر مواد البناء وأساليبه في تجانسها العمراني
- شد الأثواب في سد الأبواب للسيوطي (تحقيق)

# رواد علم السيرة النبوية في المدينة ومناهجهم

**د. عدنان علي كرموش الفراجي**

**معاون عميد كلية الفقه وأصوله ببغداد**

السير لغة واصطلاحًا

**السيرة في اللغة :** الطريقة والهيئة ، يقال : سار بهم سيرة حسنة ، وسيَّر سيرة : أي حدَّث أحاديث الأوائل[1] .

**وفي الاصطلاح :** تاريخ حياة شخص معين . وقد تطورت دلالة هذا المصطلح بفضل كتابات العلماء المسلمين لسيرة النبي ﷺ ، وأصبحت تدل على علم مستقل ، وهو علم السيرة النبوية ، وقد يستخدم لفظ ( السيرة ) مطلقًا ليدل على السيرة النبوية أيضًا[2] .

ولما رُتِّبَت الأحاديث في الأبواب ؛ جُمعت السيرة في أبواب مستقلة ، كان أشهرها باب يسمى : ( المغازي والسير ) أو ( الجهاد والسير )[3] .

غير أنه بمرور الزمن أخذت السيرة تستقل عن الحديث ، وصارت كتب السير والمغازي تؤلَّف بمفردها في النصف الثاني من القرن الأول الهجري ، وتأكدت هذه الاستقلالية في القرن الثاني الهجري .

يروي المدائني عن ابن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ) ، قال : قال لي خالد بن عبد الله القسري[1] : اكتب لي النسب ، فبدأت بنسب مضر ، وما أتممته ، فقال : اقطعه ... واكتب لي السيرة[2] .

---

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سير) .

(٢) ينظر : ديلافيدا ، ( مادة سيرة ) ، دائرة المعارف الإسلامية ( الترجمة العربية ) . الكردي ، راجع عبد الحميد ، شعاع من السيرة النبوية ... ، دار الفرقان ، عمان ، الأردن ، ١٩٨٥ ، ص ١٣ .

(٣) ينظر من كتب الحديث في هذا الشأن : البخاري ، الصحيح ١٧/٤ -٥٤ على سبيل المثال .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولا يمكن أن نفرق بين السيرة والمغازي ؛ إذ هما مفهومان مترادفان ، يستعملان بمعنى واحد ، يقول ابن كثير متحدثًا عن ابن إسحاق :« قال ابن إسحاق في المغازي »[٣] وهو يعني السيرة . وقد جعل الواقدي كلمة ( المغازي ) عنوانًا لكتابه ، وشمل سيرة الرسول ﷺ في المدينة فقط .

ومنذ ذلك الوقت لقيت السيرة النبوية اهتمامًا واسعًا من العلماء ، خاصة علماء المدينة ، الصحابة ومن بعدهم ، فقد روي عن سعد بن أبي وقاص ﷺ أنه قال :« كنا نُعَلِّم أبناءنا مغازيَ رسول الله ، كما نُحَفِّظُهم الآية من القرآن ... » .

وجاء هذا الاهتمام ؛ لما لأقوال النبي ﷺ وأفعاله من أهمية عظيمة في حياته وبعد وفاته ؛ لأنه القدوة للمسلمين ، وأنهم بحاجة إلى معرفة تفاصيل حياته ، قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ... ﴾[٤] .

ومن الطبيعي أن تكون المدينة المنورة محضنًا لرواد علم السيرة النبوية ؛ لأنها موقع أحداث هذه السيرة ، ولأن أبناءها من الصحابة الكرام شهدوا تلك الأحداث ، ونقلوها إلى أبنائهم ( التابعين ) ، والذين سافروا أو هاجروا منهم جميعًا ، نقلوها إلى المسلمين في الأمصار التي دخلوها واستقروا فيها ، فكانوا رواد هذا العلم رواية ، كما كانوا رواده تدوينًا ، وسوف نعرض فيما يلي أبرز هؤلاء الرواد وما اشتهروا به ، وذلك حسب تسلسلهم الزمني :

**أبان بن عثمان** ( ت بين ٩٩ -١٠٥هـ ) : وهو ابن الخليفة عثمان بن عفان ، ومن كبار التابعين ، ولد بالمدينة وعاش بها ، وولي إدارتها سبع سنين ، ومات فيها ما بين ( ٩٩ -١٠٥هـ )[٥] وهو في عِداد المحدثين الذين كان لهم « ميل إلى دراسة المغازي »[٦] فقد روى الحديث عن أبيه وغيره[١] . وكان ثقة في الرواية ، يقول العجلي عنه :«

---

(١) خالد بن عبد الله بن يزيد القسري البجلي ، اليماني الأصل ، سكن دمشق ، ثم ولي مكة للوليد بن عبد الملك سنة ٨٩ ، ثم العراقين ( الكوفة والبصرة ) سنة ١٠٥ ، وطالت ولايته حتى عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٢٠ ، وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي ، وسلطه عليه حتى قتله . انظر : الزركلي ، الأعلام

(٢) الأصفهاني ، الأغاني ( ط الساسي ) ٥٩/١٩ .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ٢٤٣/٣ .

(٤) الآية ٢١ من سورة الأحزاب .

(٥) ابن سعد ، الطبقات (ليدن) ١١٢/٥ ، البستي ، مشاهير ، ص ٦٧ . الذهبي ، العبر ١٢٩/١ ( وذكره مع وفيات سنة ١٠٥هـ ) .

(٦) الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ص ٢١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مدني تابعي ثقة »[٢] ، وفضلاً عن علمه بالحديث فقد « كان من أعلم الناس بالقضاء »[٣] .

أما عن تأليفه في السيرة ، فقد أورد ابن سعد إشارة عند حديثه عن : المغيرة بن عبد الرحمن إذ قال : « كان ثقة قليل الحديث ، إلا مغازي رسول الله ﷺ ، أخذها من أبان بن عثمان ، فكان كثيرًا ما تقرأ عليه ، ويأمرنا بتعليمها »[٤] .

وليست هذه المغازي التي رواها المغيرة عن أبان كتابًا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة ؛ وإنما هي مجموعة من الأخبار المتعلقة بحياة النبي ﷺ[٥] . مع أن ابن سعد وابن هشام لم يرويا له شيئًا في السيرة[٦] ، ولم أقف على من رَوى له من المؤرخين[٧] ، ويبدو أن أبان بن عثمان يمثل مرحلة انتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازي[٨] ، ويبدو أنه لم يبق شيء من آثار المغازي التي دونها أبان .

**عروة بن الزبير :** أحد كبار الفقهاء والمحدثين المدنيين[٩] ، ومن رواد مدرسة السيرة والتاريخ في المدينة .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات (ليدن) ١١٢/٥ .

(٢) العجلي ، معرفة الثقات ١٩٩/١ .

(٣) البستي ، مشاهير ، ص ٦٧ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات (ليدن) ١٥٦/٥ .

(٥) هورفتس ، المغازي الأولى ومؤلفوها ، ص ٦ . وينظر : حسين نصار ، نشأة التدوين التاريخي عند العرب ، مكتبة النهضة المصرية ، د.ت. ص ٢٩ .

(٦) أحمد أمين ، ضحى الإسلام ٣٢١/٢ . حسين نصار ، نشأة التدوين ، ص ٢٩ .

(٧) وَهِمَ الأستاذ د. عبد العزيز الدوري عندما قال : وإذا استثنينا إشارة إليه في اليعقوبي ( نشأة علم التاريخ ) ص ٢١ . والصواب أنه ليس أبان بن عثمان بن عفان ، بل أبان بن عثمان بن يحيى البجلي المعروف بابان الأحمر ، المتوفى سنة ٢٠٠هـ ، والذي ذكره اليعقوبي ، تاريخ ( ط صادر ) ٦/٢ ، أنه روى عن جعفر بن محمد (ت١٤٨هـ) ، فليس من المعقول أن أبان بن عثمان التابعي يروي عن جعفر بن محمد ، علمًا بأن أبان الأحمر الذي أشار إليه اليعقوبي له كتاب المغازي في أخبار المبتدأ والمبعث وغزوات الرسول ﷺ ، والسقيفة والردة . ينظر أيضًا : الزركلي ، الأعلام ٢٧/١ .

(٨) الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ص ٢١ .

(٩) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١٣٢/٥ . ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٩٨ . العجلي ، معرفة الثقات ١٣٣/٢ . الذهبي ، العبر ١١٠/١ . النووي ، تهذيب الأسماء ٣٣١/١ . ابن حجر ، تهذيب التهذيب ١٨١/٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يُعَدُّ ابنه هشام وابن شهاب الزهري أشهرَ الرواة عنه في السيرة وأخبار الأيام الأولى من تاريخ الإسلام .

أما آثاره في السيرة ؛ فقد وصلت إلينا مقتبسات من رسائله المدونة في كتب التاريخ والسيرة ، كتاريخ الطبري ، وسيرة ابن إسحاق ، ومغازي الواقدي ، وكذلك عند المتأخرين من كُتَّاب السيرة ، كابن سيد الناس ، وابن كثير ، وغيرهم «وهذه المقتبسات هي أقدم ما وصلنا من تاريخ المغازي»[١] ، وكذلك وردت عنه معلومات تتعلق بالسيرة في كتب الصحاح ، كحديثه عن الهجرة في صحيح البخاري[٢] .

ومن الجدير بالذكر أن معظم المقتبسات هذه كانت على شكل رسائل متبادلة بين عروة والخليفة عبد الملك بن مروان - في الغالب - أو بينه وبين ابن أبي هنيدة ، الذي وُصِف بأنه صاحب الوليد بن عبد الملك »[٣] .

وهذه المقتبسات تشمل جوانب مختلفة من حياة الرسول ﷺ ؛ كبَدء الوحي ، وبعض الغزوات ، وبعض الشؤون الخاصة بالرسول ﷺ ، وبعض الأخبار المتعلقة بالصدر الأول من الإسلام ، وأحوال المسلمين الأولى ... »[٤] . فمن أمثلة ذلك : ما أورده أورده الطبري من جواب عروة للخليفة عبد الملك عن خبر الهجرة إلى الحبشة ، وتأتي بإسناد جاء في آخره :« حدثنا أبان العطار قال : ثنا هشام بن عروة عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد ؛ فإنه - يعني رسول الله ﷺ - لما دعا قومه ... وعصم الله منهم من شاء ... ، أمرهم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة »[٥] .

ويَرِد إسناد آخر مماثل عن هجرة المسلمين إلى أرض (يثرب) ، ولكن آخر الإسناد هو :« عن عروة أنه قال ... »[٦] ، ولم يذكر أنه كتبه إلى عبد الملك أو غيره ،

---

(١) الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ص ٢١ .

(٢) أورد البخاري حديث الهجرة عن عروة في حوالي ست صفحات كبيرة ، الصحيح ٧٣/٥ -٧٨ .

(٣) ابن هشام ، السيرة ٣٢٦/٢ . وينظر : هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ١٩ .

(٤) ينظر : الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ص ٢١ .

(٥) الطبري ، تاريخ ٣٢٨/٢ .

(٦) الطبري ، تاريخ ٣٦٦/٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وثمة إسناد ثالث أيضًا :« أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة عن عروة قال : ... »[١] وهذا النص يتعلق بهجرة النبي ﷺ نفسِه ، ويذهب (هورفتس) إلى كون الاقتباسات مأخوذة من رسالة واحدة ، أرسل بها إلى عبد الملك[٢] .

وكذلك يورد عروة بالإسناد نفسه جوابًا مكتوبًا للخليفة عبد الملك عن وقعة بدر الكبرى ، ضمَّنَه بعض الآيات القرآنية ، المتعلقة بغزوة بدر الكبرى ، ويشغل هذا النص قرابة أربع صفحات[٣] . وثَمَّة رسائل أخرى دَوَّنَها الطبري في تاريخه ، يرويها هشام بن عروة ، عن أبيه ، منها ما يتعلق بخبر فتح مكة[٤] ، ومنها بخبرِ غزوةِ حنين[٥] ، وآخر عن غزوة الطائف[٦] وغيرها . وكذلك أورد ابن هشام في السيرة السيرة - من رواية الزهري - : أن عروة كتب إلى ابن أبي هنيدة ، وكان يسأله عن آية المهاجرات بعد هدنة الحديبية ، وكان ابن أبي هنيدة صاحب الوليد بن عبد الملك . وجاء السند كما يلي :« قال ابن إسحاق : حدثني الزهري ، عن عروة بن الزبير ، قال : دخلت عليه وهو يكتب كتابًا إلى ابن أبي هنيدة ؛ صاحب الوليد ... »[٧] .

ومن يُلْقِ نظرة على المقتبسات الواردة عند كُتَّاب السيرة والمؤرخين من مغازي عروة بن الزبير يلاحظ ما يأتي :

١ - أن عروة لم يكن يلتزم الإسناد - في الغالب - وذلك لأن« النظرة إلى الإسناد في زمنه كانت لا تزال مرنة ، ولم تكن القواعد الدقيقة للإسناد قد ظهرت بعد »[٨] ، كالأمثلة التي وردت سابقًا .

---

(١) ن.م ٢/٣٧٥ .

(٢) هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ٢٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ ٢/٤٢١ -٤٢٤ .

(٤) ن.م ٣/٥٥ -٥٦ .

(٥) ن.م ٣/٧٠ .

(٦) ن.م ٣/٨٢ -٨٣ .

(٧) ابن هشام ، السيرة ٣/٣٢٦ .

(٨) ينظر : الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ص ٢١ ، ٧٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٢ - وهذا لا يعني أنه لم يذكر الإسناد في كل رواياته ، فقد ذكره في بعضها ، مثل ماذكره عن حديث هجرة النبي ﷺ ، فقد ذكر في وسط الخبر قوله :« فأخبرتني عائشة : أنهم بينا هم ظهرًا في بيتهم ... »[١] . وكذلك يورد الخبر نفسه برواية أخرى ؛ إذ ساقه الطبري عن :« محمد بن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن ... قال : حدثني عروة بن الزبير ، عن عائشة زوج النبي ﷺ ... »[٢] .

فهذان الإسنادان عن عائشة ، وغيرهما كثير ، وكذلك أسند عروة عن عبد الله بن عباس ، فمثلاً ؛ فيما يتعلق بغزوة بدر ، جاء السند عند الطبري كما يلي :« حدثني محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمرو بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان وغيرهم من علمائنا ، عن عروة عن عبد الله بن عباس ، كل قد حدثني بعض هذا الحديث ... »[٣] .

٣ - وأحيانًا لا يذكر من يروي عنه ، ويكتفي ( أي عروة ) بقوله : ( فأُخبرت ) ، مثال ما أورده الطبري عن فتح مكة ، فقد جاء في وسط الجواب الذي كتبه عروة إلى الخليفة عبد الملك عن هذه الحادثة قوله :« فَأُخبرت أنه - أي النبي ﷺ - قال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ... الخ »[٤] .

٤ - وأحيانًا يورد آيات قرآنية يضمِّنها الخبر ؛ لاتصالها بالحديث الذي يرويه ، مثال ذلك ما ذكره عن أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة ، فقد جاء السند كالآتي :« ... محمد بن إسحاق ، قال : حدثني يحيى بن عروة ، عن أبيه قال : كان أول من جهر بالقرآن ... عبد الله بن مسعود ... »[٥] وغيرها .

---

(١) الطبري ، تاريخ ٢/٣٧٥ .

(٢) ن.م ٢/٣٧٧ .

(٣) ن.م ٢/٤٢٧ .

(٤) ن.م ٣/٥٥ .

(٥) ن.م ٢/٣٣٤ -٣٣٥ .

٥ - وكان في بعض الأحيان يورد الشعر ضمن الخبر التاريخي ؛ ذلك لأن عروة من رواة الشعر[١] ومحبيه - كما يبرز دور الشعر في الحياة آنذاك - مثال ذلك : ما ذكره الطبري مسندًا إلى عروة « قال : قال قائل من المسلمين حين رأى من لَخمٍ وجُذام ما رأى ... »[٢] ، ثم ذكر الشعر ضمن الخبر الذي رواه .

٦ - لم يقتصر اهتمام عروة على السيرة النبوية في رواياته فحسب ، وإنما امتدت إلى تاريخ الخلفاء الراشدين ، فقد وردت مقتبسات كثيرة له - على سبيل المثال - عن عزم الخليفة أبي بكر ﷺ على إنفاذ بعث أسامة ، على الرغم من حرج وضع المسلمين[٣] ، وخبر ردة بعض القبائل ، وما جرى بين خالد بن الوليد وأهل اليمامة[٤] ، وكذلك فيما يتعلق بقيادة الجيوش المتوجهة لفتح بلاد الشام[٥] ، وخبر أجنادين[٦] ، ومرض الخليفة أبي بكر ﷺ ووفاته[٧] ، وما يتعلق بواقعة القادسية[٨] ، وخبر ذهاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ إلى (أيلة) في إحدى رحلاته إلى الشام[٩] ، وخبر عن وقعة الجمل في خلافة علي ﷺ[١٠] ، وغيرها .

**شرحبيل بن سعد** (ت١٢٣هـ) : وهو أحد العلماء الذين لهم شأن في تاريخ سيرة الرسول ﷺ ، ولد في أواخر عهد عمر بن الخطاب ﷺ أو أوائل عهد عثمان ﷺ[١١] ، ولقي جماعة كبيرة من الصحابة بالمدينة ، وأخذ عنهم الحديث خاصة ، منهم : زيد بن

(١) أورد الذهبي رواية عن ... أبي الزناد ، قال : « ما رأيت أروى للشعر من عروة ... » ، تراجم رجال ، ص ٤٦ .
(٢) الطبري ، تاريخ ٣/٥٧١ .
(٣) المصدر السابق ٣/٢٢٥ .
(٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٩٩ .
(٥) الطبري ، تاريخ ٣/٣٩١ .
(٦) المصدر السابق ٣/٤١٧ -٤١٨ .
(٧) المصدر السابق ٣/٤١٩ -٤٢٠ ، ٤٢٢ .
(٨) المصدر السابق ٣/٥٠٥ .
(٩) المصدر السابق ٤/٦٤ .
(١٠) المصدر السابق ٤/٥٢٥ .
(١١) ابن سعد ، الطبقات (ليدن) ٥/٢٢٨ . ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٤/٣٢١ . هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ٢٥ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ثابت ، وأبو هريرة ، وأبو سعيد الخدري ، وغيرهم[١] ، وكان يكثر من التردد على زيد بن ثابت فيقيم عنده في الأسواف[٢] .

قال عنه البستي «كان من المتقنين»[٣] ، وأشاد ابن سعد بمنزلته العلمية ، فقال : «كان شيخًا قديمًا ...وله أحاديث»[٤] ، أما عن أهميته في المغازي فيُروى عن سفيان ابن عيينة قوله في شرحبيل بأنه : «لم يكن أحد أعلم بالمغازي والبدريين منه»[٥] .

غير أن بعض المؤرخين والمحدثين وقف منه موقف المتحفظ ؛ ذلك أن بعضهم قال عنه « يجعل لمن لا سابقة له ، له سابقة »[٦] ، لكن موسى بن عقبة دافع عنه عنه أشد دفاع ، ويذكر ابن حجر ذلك بقوله : « فسمع بذلك موسى بن عقبة فقال : وإنَّ الناس قد اجترؤوا على هذا ؟! »[٧] .

وقد أخذ عنه ابن سعد خبرًا عن هجرة النبي ﷺ ، من قباء إلى المدينة ، دون أن يذكر لهذه الفقرة أيَّ إسناد[٨] .

**عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم** (ت١٣٥هـ) : أحد مشاهير الجيل الثاني من التابعين ، وهو أحد علماء الحديث ، وقد وجَّه عناية خاصة إلى المغازي ، وفي هذا دلالة واضحة على شدة ارتباط علم الحديث بالسيرة ( المغازي ) .

ولد عبد الله بن أبي بكر من أسرة مدنيَّة عريقة من الأنصار ، ونشأ بالمدينة ، وتعلم على كبار علمائها ، منهم والده أبو بكر بن محمد ، الذي كان من المحدثين ، فشجَّع ابنه على دراسة الحديث ، كما أخذ عن خالة أبيه ؛ عمرة بنت عبد الرحمن ، وعن أنس ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، ...وعروة بن الزبير ، والزهري ، وأبي الزناد وهم من أقرانه[٩] .وروى عنه الزهري أيضًا ، وابن أخيه عبد الملك بن محمد ،

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ٢٢٨/٥ .

(٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١٩١/١ ، وقال عن الأسواف : موضع بعينه بناحية البقيع ، وهو موضع صدقة زيد ابن ثابت الأنصاري ، وهو من حرم المدينة . ( ومحلها اليوم حول مسجد أبي ذر ، طريق المطار القديم ) ( التحرير ) .

(٣) البستي ، مشاهير ، ص ٧٧ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ٢٢٨/٥ .

(٥) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٣٢١/٤ .

(٦) السابق نفسه ٣٦١/١٠ .

(٧) السابق نفسه ٣٦١/١٠ .

(٨) ابن سعد ، الطبقات ١٦٠/١ ، وينظر : (هورفتس) ، المغازي الأولى ، ص ٢٧ .

(٩) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ١٦٤/٥ -١٦٥ . السخاوي ، التحفة اللطيفة ٣٠٢/٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهشام بن عروة ، وفليح بن سليمان ، وابن إسحاق ، والسفيانان ، وابن لهيعة ، وابن علية ، وغيرهم[١] .

كان عبد الله بن أبي بكر من مشاهير المحدثين في المدينة ، وقد وَثَّقَه كثير من العلماء والمحدثين ، فوصفه الإمام مالك بقوله :« كان كثير الحديث ، وكان رجل صِدْق »[٢] ، وقال ابن سعد :« كان كثير الحديث عالمًا ... »[٣] ، وكذلك وثقه ابن معين ، ، وأبو حاتم ، والنسائي[٤] ، والعجلي وغيرهم ، وقال الأخير :« مدني تابعي ثقة »[٥] .

توفي عبد الله في المدينة سنة ١٣٥هـ ، ويقال سنة ١٣٠هـ[٦] ، والأول أرجح .

ومن خلال المقتبسات الكثيرة - التي نقلت عن عبد الله بن أبي بكر - في كتب السيرة والتاريخ ، يمكن للباحث أن يتصور مدى الأثر الكبير الذي تركه عبد الله فيما يتعلق بالمغازي بخاصة ، وبتاريخ حياة النبي ﷺ ، وتاريخ صدر الإسلام عامة ، وكان من بين الروايات التي نقلت عنه : عند ابن إسحاق ، والواقدي ، وابن سعد ، والطبري .

إذ يرد في سيرة ابن هشام السند الآتي :« قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن عائشة قالت : وذكر خبر الفيل »[٧] . ويتكرر السند نفسه عند الحديث عن خبر الإفك[٨] .

ويورد الطبري أيضًا خبر غزوات النبي ﷺ حديثًا مباشرًا ، نقله ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر وقد جاء كما يلي :« ... عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان جميع ما غزا رسول الله ﷺ بنفسه ستًا وعشرين غزوة ، أول غزوة غزاها : ( ودان ) ، وهي غزوة الأبواء ، ثم غزوة (بواط ) إلى ناحية ( رضوى ) ، ثم غزوة العشيرة ، ثم أتى على ذكر الغزوات جميعًا ، وكذلك ورد السند نفسه :(ابن

(١) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ١٦٤/٥ -١٦٥ . السخاوي ، التحفة اللطيفة ٣٠٢/٢ .
(٢) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ١٦٥/٥ .
(٣) الذهبي ، تراجم رجال ، ص ٢٥ . ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٥/٥ .
(٤) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ١٦٥/٥ .
(٥) العجلي ، معرفة الثقات ٢٣/٢ .
(٦) خليفة ، طبقات ، ص ٢٧٣ . البستي ، مشاهير ، ص ٦٨ . الذهبي ، تراجم رجال ، ص ٢٥ .
(٧) ابن هشام ، السيرة ، ٧٥/١ .
(٨) ن.م ٥٩٧/٢ . الطبري ، تاريخ ٦١١/٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر ) ، ويورد خبر السرايا والبعوث كالآتي : « ابن حميد قال : حدثنا سلمة قال : حدثني محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر قال : كانت سرايا رسول الله ﷺ وبعوثه - فيما بين أن قدم المدينة وبين أن قبضه الله - خمسًا وثلاثين سرية وبعثًا ... »[١] .

وفي هذا دليل على مراعاة الترتيب الزمني في الحوادث ، ومنها الغزوات والسرايا والبعوث في عهد النبي ﷺ ، يقول (هورفتس) : ( ولم يقنع عبد الله بجمع الأخبار التي وصل إليها ، فحاول أيضًا في هذا الزمن المبكر أن يبتكر الترتيب السنوي للحوادث ، فجمع قائمة بغزوات النبي ﷺ مرتبة ترتيبًا سنويًا ، استعاره ابن إسحاق لكتابه »[٢] .

وإلى جانب اهتمامه بالرواية التاريخية فقد حفظ عبد الله بعض المدونات النبوية التاريخية ، مثل الوثيقة التي أعطاها النبي ﷺ جدَّه الأكبر عمرو بن حزم ليأخذها معه حين بعثه إلى أهل ( نجران ) ليفقههم في الدين[٣] ، وقد جاء عند ابن هشام والطبري ذكر إرسال ( عمرو بن حزم ) إليهم - كما أشرنا سابقًا - وأن النبي ﷺ « كتب له كتابًا ؛ عَهِدَ إليه فيه عَهْده ، وأمره فيه بأمره : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا بيان من الله ورسوله ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ ، عهد من محمد النبي رسول الله ( لعمرو بن حزم ) ، بعثه إلى اليمن ... »[٤] ، والكتاب ( الرسالة ) التي كتبها النبي ﷺ إلى ملوك حمير ، وقد جاءت هي وكتاب ( عمرو بن حزم ) بالسند نفسه .

« حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر قال : قدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير مَقْدَمه من تبوك ... فكتب إليهم رسول الله ﷺ : « من محمد رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال ... »[٥] . وعرف عنه أنه روى بعض الشعر ، لا سيما ما رواه عن حسان بن ثابت شاعر الرسول[٦] .

---

(١) الطبري ، تاريخ ١٥٤/٣ -١٥٦ . قارن : ابن هشام ، السيرة ٦٠٩/٢ ، ويذكر أنها (٣٨) غزوة .

(٢) هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ٤٣ .

(٣) ابن هشام ، السيرة ٥٩٤/٢ . وينظر : هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ٤٤ .

(٤) ابن هشام ، السيرة ٥٩٤/٢ -٥٩٥ . الطبري ، تاريخ ١٢٨/٣ . مع فرق بسيط في بعض الألفاظ .

(٥) الطبري ، تاريخ ١٢٠/٣ .

(٦) ينظر : (هورفتس) ، المغازي الأولى ، ص ٤٥ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وخلاصة القول فإن عبد الله بن أبي بكر كان من السابقين إلى الاهتمام بالمغازي ، وقد راعى فيها - كما أشرنا - الترتيب الزمني ، وهذا « ما يجعله من أوائل الذين وضعوا المنهج الحَولِيّ في التاريخ الإسلامي ، عند مطلع القرن الثاني »[١] قد عُنِي - فضلاً عن ذلك - بالأخبار ، إلى جانب الروايات الشفهية الكثيرة التي نقلت عنه ، وبحكم علاقته الجيدة بابن إسحاق ؛ فقد اعتمد عليه الأخير في نقل الأخبار وأكثر من الرواية عنه .

**عاصم بن عمر بن قتادة** (ت ١٢٠هـ وقيل ١٢٩هـ) : هو عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر ، من بني ظفر من الأوس ، أبو عمر المدني[٢] ، من أسرة مدنية عريقة من الأنصار ، كانت من السابقين للإسلام ، وكان جده ممن شارك في معركة بدر إلى جانب رسول الله ﷺ ، فهو من طلائع المسلمين في المدينة ، وكان والده عمرو بن قتادة من رواة الحديث ، ولم يتقلد منصبًا رسميًا ، ولم يكن من الموسرين[٣] .

لم نقف على سنة ولادة عاصم بن عمر ، الذي نشأ في المدينة وأخذ عن مشاهير علمائها من الصحابة مثل : جابر بن عبد الله ، ومحمود بن لبيد ، وجدته رُمَيثَة ولها صحبة ، وأنس والحسن بن محمد بن الحنفية وعلي بن الحسن وغيرهم[٤] .

وروى عنه من مشاهير العلماء : زيد بن أسلم ، ومن كتاب السيرة والمؤرخين محمد بن إسحاق ، وأبو الأسود يتيم عروة ، ويعقوب بن أبي سلمة الماجشون وغيرهم[٥] .

وفد على الخليفة عمر بن عبد العزيز بدمشق ، وكان قد احتاج إلى المال ، فطلب منه « أن يجلس في مسجد دمشق فيحدث الناس بالمغازي ومناقب الصحابة ، ففعل »[٦] .

---

(١) ينظر : شاكر مصطفى ، التاريخ العربي والمؤرخين ... ، ط٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ١٥٦ .

(٢) خليفة ، الطبقات ، ص ٢٥٨ . البستي ، مشاهير ، ص ٧٠ .

(٣) ابن هشام ، السيرة ٦٨٧/١ . وينظر (هورفتس) ، المغازي الأولى ، ص ٤٧ . العسلي ، عاصم بن عمر بن قتادة ، مجلة كلية الآداب ، العدد ٨ ، لسنة ١٩٦٥ ، مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٦٥ ، ص ٢٢٦ -٢٢٧ .

(٤) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٥٣/٥ -٥٤ . الذهبي ، تراجم رجال ، ص ٢٢ .

(٥) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٥٣/٥ -٥٤ . الذهبي ، تراجم رجال ، ص ٢٢ .

(٦) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٥٤/٥ -٥٥ . الذهبي ، تراجم رجال ، ص ٢٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويظهر أن سبب اختيار الخليفة عمر بن عبد العزيز عاصمًا لهذه المهمة ؛ هو كونه من أهل العلم بالمغازي ، فقد وصفه ابن سعد بذلك ، وقال :« كان راوية للعلم ، وله عِلم بالمغازي والسيرة ... »[١] .

ولم يمكث عاصم في دمشق طويلاً ، فقد عاد إلى المدينة ؛« يحدث الناس ما يقرب من عشرين عامًا »[٢] .

وثَّقَهُ كثير من العلماء ، قال ابن سعد :« كان ثقة كثير الحديث عالمًا[٣] ، وذكره ابن حبان البستي في الثقات ، وقال البزاز : ثقة مشهور ، ووثقه أبو زرعة وابن معين ... »[٤] .

روى ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة الكثير من الروايات المتعلقة بالسيرة النبوية ، فمن العهد المكي ؛ نذكر خبرًا عن إنذار يهود برسول الله ﷺ ، وقصة إسلام سلمان ﷺ ، وخبرًا عن عرض النبي ﷺ نفسَه على العرب في المواسم ، وقصته مع سويد بن صامت ، وإسلام الأنصار في العقبة الأولى ، وخبرًا عن بيعة العقبة الثانية ، وكلام العباس بن عبد المطلب ﷺ فيها ، وغير ذلك[٥] .

وكذلك نقل عنه ابن إسحاق روايات وأخبارًا تتعلق بالعهد النبوي من السيرة النبوية ، مثل : خبرٍ عن نقابة النبي ﷺ لبني النجار ، وأخبار تتعلق بأمر المنافقين في المدينة ، وروايات تتعلق بمعركة بدر الكبرى ، وخبر عن نقض بني قينقاع للعهد مع النبي ﷺ ، وأخبار تتعلق بغزوة أحد ، وقائمة بمن استشهد فيها من المسلمين ، ومقتل خبيب بن عدي ، وأخبار عن غزوة الخندق ، وعن غزوة بني

(١) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٥٤/٥ -٥٥ . الذهبي ، تراجم رجال ، ص ٢٢ .

(٢) ينظر : هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ٤٨ .

(٣) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٥٤/٥ . الذهبي ، تراجم رجال ، ص ٢٢ .

(٤) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٥٤/٥ . الذهبي ، تراجم رجال ، ص ٢٢ .

(٥) تسلسل هذه الأخبار عند ابن هشام على النحو الآتي : السيرة ٢١١/١ ، ٢١٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٨ ، ٤٣٤ ، ٥٠٧ ، ٥٢٤ - ٥٢٥ ، ٥٨٤ ، ٦٠٦ ، ٦٢٥ ، ٦٢٧ ، ٦٤٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

قريظة ، وما يتعلق بغزوة بني لحيان ، وأخبار عن غزوة حنين ، ولقاء هوازن ، وعن غزوة تبوك ، وغير ذلك[١] .

وكذلك أخذ الواقدي عن عاصم بن عمر بن قتادة الكثيرَ من الأخبار المتعلقة بالمغازي النبوية[٢] .

ويُلاحظ على منهج عاصم في السيرة : أنه لا يهتم كثيرًا بالسند في رواياته ، مع أنه أَسْنَدَ عن جماعة ممن تأخرت وفاتهم من الصحابة ، وأن معظم مصادر رواته هم من الأنصار ، أمثال : محمود بن لبيد ، وأنس بن مالك ، وعبد الله بن كعب بن مالك ، وعبد الرحمن بن جابر بن عبد الله ، وغيرهم[٣] . وأنه يورد في بعض الأحيان أشعارًا يُضمِّنها رواياته[٤] .ويُلاحظ - أيضًا - أن جلَّ اهتمام عاصم بن عمر بأخبار الأنصار ؛« محاولاً إبراز موقفهم المشرف ، والأعمال البطولية التي قدموها للرسول ﷺ في المعارك ، واستشارته لهم ، وحبَّ الرسول ﷺ للأنصار ، والتوصيةَ بهم خيرًا في آخر خطبة له قبل مماته ، فهو إذًا يهتم بتاريخ الجماعات ، لا الأفراد »[٥] .

**ابن شهاب الزهري** : يُعَدُّ الإمام الزهري من أبرز المؤرخين المسلمين ؛ الذين أرَّخوا لسيرة النبي ﷺ قبل البعثة وبعدها ، وأشدُّ عناية الزهري كانت في المغازي ؛ إذ توسع فيها ، وعني بها عناية كبيرة[٦] ، وقد وردت إشارة لدى البيهقي إلى تأليف

---

(١) تسلسل هذه الروايات عند ابن هشام على النحو الآتي : السيرة ١/٥٠٧ ، ٥٢٤ -٥٢٥ ، ٥٨٤ ، ٦٠٦ ، ٦٢٥ ، ٦٢٧ ، ٦٤٣ ، ٢/٤٧ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ٨٢ ، ١٢٢ ، ١٧٢ -١٧٣ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٤٠ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٥ ، ٤٩٨ ، ٥١٦ .

(٢) ينظر : الواقدي ، المغازي ، الصفحات على سبيل المقارنة : ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٩ ، ٧٥ ، ١٢٥ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ، ٢٥١ ، ٤٤٧ ، ٥١٥ ، ٥٤١ ، ٧٣٣ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٩ ، وغيرها .

(٣) ينظر لذلك ما أورده ابن هشام ، السيرة ١/٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢/٨٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٤٢ ، ٤٩٨ ، ٥٢٢ ، ٥٢٦ ، وغيرها . وينظر : العسلي ، عاصم بن عمر بن قتادة ، مجلة كلية الآداب ، ع٨ ، ١٩٦٥ ، ص ٢٤١ .

(٤) عن هذه المقاطع الشعرية ينظر : ابن هشام ، السيرة ٢/٢٨٠ ، ٥٠٣ ، ٥١٤ .

(٥) العسلي ، عاصم بن عمر بن قتادة ، مجلة كلية الآداب ، ع٨ ، ص ٢٤١ .

(٦) ينظر : ترجمة الزهري في فصل علوم الحديث ، ص ١٧٨ . أيضاً : الضاري ، الزهري وأثره في السنة ، ص ١٧٦ بتصرف .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تأليف الزهري في المغازي بقوله :« ... حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : هذه مغازي رسول الله ، فذكر الحديث ... »[١] .

وعند الوقوف على المقتبسات التي وردت عن الزهري ، في مجال السيرة النبوية بخاصة ، وتاريخ صدر الإسلام بعامة ، يلاحظ ما يلي :

١ - أنَّ دراسات الزهري التي تناولت حياة الرسول ﷺ - سواء منها ما قبل البعثة أو بعدها - قد أعطت أول إطار واضح للسيرة ، وأنه رسم خطوطها بجلاء ، فترك لمن بعده أن يكمل هذا الإطار في التفاصيل فقط »[٢] .

٢ - أَنَّه راعى التسلسل الزمني للحوادث في تاريخ عصر النبوة ، فقد أورد روايات تتعلق بحياة النبي ﷺ ، من الولادة إلى الوفاة ، منها رواية تتعلق بحمل آمنة بنت وهب به ، ووفاة والده عبد الله عند أخواله في ( يثرب )[٣] ، وأخرى عن نسب النبي ﷺ[٤] ، ثم ما يتعلق بحوادث لها أهميتها في حياة النبي النبي ﷺ قبل البعثة ؛ كحلف الفضول[٥] ، وبناء الكعبة[٦] ، وزواجه من خديجة رضي الله عنها[٧] ، ونزول الوحي[٨] ... إلى غير ذلك .

ثم يلي ذلك روايات تتعلق بحالة الدعوة الإسلامية في العهد المكي : مثل أول من أسلم[٩] ، ومعاملة قريش للرسول ﷺ والمسلمين الأوائل[١٠] ، ومحاولة الرسول ﷺ نشر الدعوة بين قبائل أخرى[١١] ، والهجرة إلى الحبشة[١٢] ،

---

(١) البيهقي ، السنن الكبرى ٥٥/٦ .

(٢) السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ ( ضمن كتب روزنتال ) ، ص ٥٢٧ .

(٣) حاجي خليفة ، كشف الظنون ١٧٤٧/٢ . وينظر : الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ص ٧٩ .

(٤) ينظر : الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ص ٩٣ .

(٥) ابن هشام ، السيرة - -/١٣٤ -١٣٥ . الطبري ، تاريخ ٢٨١/٢ .

(٦) ابن هشام السيرة ٧٢/١ . الطبري ، تاريخ ٢٣٩/٢ وما بعدها .

(٧) المصدر السابق ٢٨١/٢ -٢٨٢ .

(٨) المصدر السابق ٢٩٨/٢ -٢٩٩ .

(٩) الطبري ، تاريخ ٣١٦/٢ .

(١٠) ابن هشام ، السيرة ٣٧٣/١ .

(١١) الطبري ، تاريخ ٣٤٨/٢ -٣٥٠ . قارن : ابن هشام ، السيرة ٤٢٤/١ وما بعدها .

(١٢) ابن هشام ، السيرة ٣٣٤/١ وما بعدها .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقصة الإسراء والمعراج[١] ، والمقاطعة[٢] ، وبيعة العقبة وبداية انتشار الإسلام في المدينة[٣] .

ثم تأتي الروايات المتعلقة بالفترة المدنية ، بَدءًا بحديث الهجرة ، وبناء المسجد ، وحالة المهاجرين في المدينة ...[٤] وهناك تركيز على المغازي وتفصيل لسرية عبد الله بن جحش ، وعدد المشاركين فيها ، ومعلومات عن العلاقة مع اليهود ، وغزوة بدر وتفاصيلها[٥] ، ثم بقية الغزوات ...[٦] إلى أن ينتهي بحجة بحجة الوداع[٧] ، ثم مرض النبي ﷺ ووفاته ودفنه[٨] وغير ذلك .

٣ - أَنَّه راعى الإسناد في تحقيق الأحاديث والروايات المتعلقة بالسيرة وتاريخ صدر الإسلام ، لذا كان موقفه من الإسناد يُعَدُّ متينًا في عصره ...[٩] ، وقد شهد له بذلك الإمام مالك بن أنس فقال : « أول من أسند الحديث ابن شهاب »[١٠] ، ونُقل عن الزهري أنه كان يعتب على عدم إسناد الناس للحديث[١١] . وطريقة الإسناد عنده تختلف من موضع لآخر ؛ فهو أحيانًا يكتفي برواية أحد التابعين[١٢] ، وفي أحيان أخرى يسمح بحرية أكثر ، فلا يركز على الإسناد ، لا سيما في الأحاديث التاريخية[١٣] ، وأحيانًا يطيل

(١) ابن هشام ، السيرة ٣٩٦/١ وما بعدها . البخاري ، الصحيح ٦٦/٥ وما بعدها .

(٢) ابن هشام ، السيرة ٣٥٠/١ وما بعدها .

(٣) البخاري ، الصحيح ٦٩/٥ وما بعدها . ابن هشام ، السيرة ٤٣٤/١ .

(٤) البخاري ، الصحيح ٨٣/٥ -٨٥ وما بعدها .

(٥) ابن هشام ، السيرة ٦١٢/١ وما بعدها .

(٦) ينظر على سبيل المثال : الواقدي ، المغازي ١٨١ ، ٢٥٠ ، ٥١٩ ، ٧٩٥ ، ٨٩٠ ، ١٠٧٦ . ابن هشام ، السيرة ٢١٤/٢ ، ٢٩٧ ، ٢٩٧ ، ٣٩٠ ، ٥٨٥ وغيرها .

(٧) الواقدي ، المغازي ، ص ١٠٩٧ ، ١١٠٣ . ابن هشام ، السيرة ٦٠١/٢ ، ٦٠٣ .

(٨) ابن هشام ، السيرة ٦٤٢/٢ -٦٤٣ .

(٩) ينظر : الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ص ٩٤ .

(١٠) ابن أبي حاتم ، تقدمة الجرح والتعديل ، ص ٢٠ .

(١١) ينظر : السباعي ، مصطفى حسني ، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٢٩٣ .

(١٢) أمثلة ذلك : الواقدي ، المغازي ٦٩٥/٢ ، ٧٩٥ -٧٩٦ ، ٧١٧ ، وغيرها . الطبري ، تاريخ ٤٩٥/٢ رواية عن عبد الله بن كعب .

(١٣) مثال الأماكن التي أهمل فيها الإسناد : الواقدي ، المغازي ٧٤١/٢ ، ٧٥٢ ، ٤٦٤ ، وغيرها . الطبري ، تاريخ ٥٥٤/٢ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الإسناد بينه وبين الحدث الذي يرويه[١] ، غير أن الخطوة المهمة والكبيرة هي اعتماده طريقة الإسناد الجمعي ، « وذلك بجمع عدة روايات في قصة سهلة متسلسلة يتقدمها رجال الإسناد ، وهو بهذا خطا خطوة مهمة ، نحو الأخبار التاريخية المتصلة ...»[٢] ، مثال ذلك روايته عن أربعة من كبار التابعين في رواية واحدة ، كلهم عن صحابي واحد ، جاء في ذلك : عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن علقمة بن أبي وقاص الليثي ، وعن سعيد بن المسيب ، وعن عروة بن الزبير ، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال الزهري : كُلٌّ قد حدثني بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ...»[٣] .

٤ - أنَّ الزهري كان يكثر من إيراد الآيات القرنية التي تتصل بالخبر التاريخي ، فأحيانًا تكاد الرواية التاريخية تكون تفسيرًا للآية ، مثال ذلك ما روي عنه قال : «دخلت على عروة بن الزبير وهو يكتب إلى هنيدة صاحب الوليد بن عبد الملك ، وكان يسأله عن قول الله عز وجل : ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن ...﴾ الآية[٤] ، فكتب إليه : أن رسول الله ﷺ صالح قريشًا يوم الحديبية على أن يرد إليهم من جاء بغير إذن وليه ... فلما هاجر النساء أبى الله ذلك ...»[٥] .

ثم يذكر بقية الرواية وهو يفسر مقاطع هذه الآية القرآنية إلى آخرها ، وما ترتب عليها بعد ذلك ، ثم نحو ذلك في روايته عن سعيد بن المسيب خبر بيعة الرضوان (بيعة الشجرة) وما نزل فيها ، وربطه بين الآية القرآنية وهذا الحدث[٦] .

ويمكن القول : إن هذه الروايات التي ذكرها الواقدي وغيره عن الزهري « تظهر بجلاء أن دراسة القرآن - وهو حافل بالإشارات إلى شؤون

(١) مثال طول السند ، الواقدي ، المغازي ٧٢٥/٢ .

(٢) ينظر : الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ص ٩٤ .

(٣) الواقدي ، المغازي ٦٣١/٢ -٦٣٣ ، ٨٨٩/٣ . الطبري ، تاريخ ٦١١/٢ ، ٦٢١/٢ -٦٢٤ .

(٤) الآية ١٠ من سورة الممتحنة .

(٥) الواقدي ، المغازي ٦٣١/٢ -٦٣٣ .

(٦) نفس المصدر ٦٢١/٢ -٦٢٤ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المسلمين في المدينة - كانت عاملاً آخر في ظهور الدراسات التاريخية »[١] .

٥ - سربت مواد أخرى إلى روايات الزهري التاريخية ، فهناك شيء قليل من (القصص الشعبي) ، يلاحظ أثره في أماكن مختلفة ، مثال ذلك ما أورده الطبري في مواضع عدة ، منها خبر عن الزهري عن كاهن أسلم وقدم المدينة في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ[٢] ، وخبر عن موقف ( هرقل ) من كتاب النبي ﷺ الذي قدم دِحْيَة الكلبي يدعوه فيه الرسول إلى الإسلام[٣] وغيرها .

٦ - يورد الزهري أحيانًا بعض الأبيات الشعرية في رواياته ، « وهذا طبيعي إذا تذكرنا أن الناس عامة كانوا يميلون للشعر ، وأنه كان عنصرًا أساسيًا في الثقافة »[٤] من ذلك ما أورده من شعر في قصة مسير خالد إلى بني جذيمة بن مالك بعد فتح مكة ، سنة ٨ هجرية[٥] .

٧ - لم يقتصر الزهري في رواياته التاريخية على عهد النبوة ، بل امتد ليشمل عهد الخلافة الراشدة ، فقد تناول أحداث هذه الفترة بالتفصيل ؛ بَدءًا بانتخاب الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ ، وبيعة السقيفة ، وخطبة الخليفة الصديق[٦] ، ومرورًا بالأحداث المهمة في عهد الخلفاء الثلاثة : عمر بن الخطاب الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وينتهي برواياته التي غَطَّت هذه الفترة إلى عام الجماعة الذي شهد مفاوضات الحسن بن علي ، ومعاوية بن أبي سفيان ﷺ ، واتفاقهما على خلافة الأخير[٧] .

أما ما يتعلق بالعهد الأموي ؛ فإنه وإن لم يعالج الأحداث التاريخية في هذا العهد ، إلا أنه أسهم ببعض الروايات التي تتعلق بأعمار الخلفاء

---

(١) ينظر : الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ص ٩٤ .

(٢) الطبري ، تاريخ ٢٩٦/٢

(٣) المصدر السابق ٦٤٩/٢/٢ .

(٤) الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ص ٩٥ .

(٥) الطبري ، تاريخ ٦٨/٣ -٨٩ . ابن كثير ، البداية والنهاية ٣٤٣/٩ .

(٦) ابن هشام ، السيرة ٦٥٥/٢ ، ٦٦٠/٢ -٦٦١ .

(٧) الطبري ، تاريخ ١٥٨/٥ ، ٦٢/٥ -١٦٤ . وينظر : الدوري ، نشأة علم التاريخ ص ٩٦ -٩٧ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الأمويين ، ومدة حكم بعضهم ، فيروى عن هشام بن الوليد المخزومي :« أن الزهري كتب لجده أسنان الخلفاء ، فكان فيما كتب من ذلك : ومات يزيد بن معاوية وهو ابن تسع وثلاثين ، وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر في قول بعضهم ، ويقال ثمانية أشهر »[١] ، وآخر ما يذكره الطبري عن الزهري في أخبار العهد الأموي ، هو مدة خلافة الوليد فيقول :« قال الزهري : ملك الوليد عشر سنين إلا شهرًا »[٢] .

**وخلاصة القول** :فإن الزهري يُعَدُّ من أوائل مُدَوِّني السيرة النبوية ، وقد شملت كتاباته -فضلاً عن المغازي -تاريخ صدر الإسلام ، والأنساب -التي عرف عنه سعة اطلاعه عليها وتأليفه بها - وجانبًا من التاريخ العربي الإسلامي في العهد الأموي .

وقد تابع جهودَ الزهري في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي تلاميذه ، وأبرزهم في المدينة :

**موسى بن عقبة** (ت١٤١هـ) :هو موسى بن عقبة بن أبي عياش مولى بني الزبير بن العوام ، ولد بين عام ٥٥ -٦٠هـ[٣] ، ونشأ في أسرة عرفت بالعلم في المدينة ، فقد كان« لإبراهيم وموسى ومحمد بني عقبة حلقة في مسجد رسول الله ﷺ ، وكانوا كلهم فقهاء ومحدثين ، وكان موسى يفتي »[٤] .

كان ابن عقبة أحد أعلام التابعين ، أدرك ابن عمر ، وأنس بن مالك ، وسهل بن سعد ، وسمع من أم خالد بنت خالد الصحابية ، وأخذ عن جماعة من التابعين ، منهم :عروة بن الزبير ، ومحمد بن المنكدر ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، والزهري ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، وغيرهم...[٥] ، وممن أخذ عنه يحيى بن سعيد الأنصاري ، وابن جريج ، ومالك ، والسفيانان ، وشعبة ، وابن أبي الزناد ، والدراوردي ، وابن المبارك ، وخلائق غيرهم[٦] .

---

(١) الطبري ، تاريخ ٤٩٩/٥ .

(٢) المصدر السابق ٤٩٥/٦ .

(٣) البستي ، مشاهير ، ص ٨٠ . تذكرة الحفاظ ١٤٨/١ . العبر ١٩٢/١ . ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٣٦٠/١٠ .

(٤) الذهبي ، تذكرة الحفاظ ١٤٨/١ . ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٣٦٢/١٠ .

(٥) النووي ، تهذيب الأسماء ١١٨/٢ . ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٣٦٠/١٠ -٣٦١ .

(٦) النووي ، تهذيب الأسماء ١١٨/٢ . ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٣٦٠/١٠ -٣٦١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كان يقال عن موسى : إنه « إمام في المغازي »[١] ، ونقل عن الإمام مالك بن أنس أنه أشاد بمغازيه ، فقال :« عليكم بمغازي الشيخ الصالح موسى بن عقبة ، فإنها أصح المغازي عندنا »[٢] .

ويُعَدُّ من أوائل من ألف بالمغازي[٣] ، وقد حَدَّثَ بمغازيه « ابن أخيه إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة ، المتوفى عام ١٥٨هـ[٤] ، كما يذكر أن ياقوت الحموي اختصرها اختصرها عن أبي نعيم ، وأن الدياربكري قد استفاد من مغازي موسى في مؤلفه « تاريخ الخميس »[٥] .

عُمِّرَ موسى بن عقبة حتى توفي في خلافة المنصور سنة ١٤١هـ[٦] .

إنَّ كثرة النقولات والمقتبسات عن مغازي ابن عقبة لدى المؤرخين تدل دلالة واضحة على أهمية هذا الكتاب ، فقد نقل عنه ابن سعد الكثير من الأخبار ، وذلك عن طريق استخدامه لكتاب موسى بن عقبة ، من رواية ابن أخيه إسماعيل[٧] ، ويستنتج منه :« أن كتاب موسى كان يحتوي على أسماء المهاجرين إلى الحبشة ، ومن حضر بيعتي العقبة ، وأهم من ذلك كله من شهدوا بدرًا »[٨] ، وقد وثقت قوائم موسى بن عقبة عن البدريين أكثر من غيرهم ، فيروى أن الإمام مالك بن أنس قال عنها : ( من كان في كتاب موسى قد شهد بدرًا فقد شهدها ، ومن لم يكن فيه فلم يشهدها ...»[٩] .وأخذ عنه الواقدي كذلك في كتاب المغازي[١٠] ، وهو

---

(١) العجلي ، معرفة الثقات ٣٠٥/٢ .

(٢) الرازي ، تقدمة الجرح والتعديل ، ص ٢٢ . النووي ، تهذيب الأسماء ١١٨/٢ . ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٣٦١/١٠ .

(٣) ابن خير الإشبيلي ، فهرسة ما رواه عن شيوخه ، ص ٢٣٠ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ٣١٠/٥ .

(٥) ينظر : هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ٧٠ -٧١ .

(٦) خليفة ، الطبقات ، ٢٦٧ . النووي ، تهذيب الأسماء ١١٨/٢ . ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٣٦٢/١٠ .

(٧) ابن سعد ، الطبقات ١/٢ ، ١/٣ ، ٣١٠/٥ .

(٨) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٣٦١/١٠ . وينظر : هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ٧٢ .

(٩) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٣٦١/١٠ . وينظر : هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ٧٢ .

(١٠) الواقدي ، المغازي ، أمثلة ذلك : ( خبر عن المطعمين من قريش ببدر ) ٨٤٩/٢ -٨٥٠ ، و ( خبر عن غزوة حنين ) ٨٩١/٣ ، و ( خبر عن غزوة أكيدر ) ١٠٢٥/٣ ، وغيرها .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وهو لا يذكره إلا في القليل ، غير أن ابن سعد أخذ كثيرًا من أخبار موسى عن طريق أستاذه الواقدي[١] .

كذلك أخذ عنه الطبري بعض أخبار السيرة ، وبعض أخبار الخلفاء الراشدين والأمويين ، مثال ذلك خبر إرسال حملة أسامة سنة ١١هـ ، ورواية أخرى عن العطاء في خلافة عمر ﷺ ، وخبر عن الفتنة في عهد عثمان ﷺ ، وآخر ما يُروى عنه خبر عن عمرة جده لأمه ( أبو حبيبة ) في سنة ٩١هـ ، وكان قد وَلَّى على مكة خالد بن عبد الله القسري ، من قِبَل الخليفة الوليد[٢] .

كذلك نقل عنه صاحب كتاب الأغاني خبرًا عن زيد بن عمرو[٣] ، الذي عُرف عُرف أنه كان من الموحدين في الجاهلية ، وإلى جانب هذه المقتبسات التي نقلت عنه في الكتب التاريخية ، فإننا نجد أثرًا من مؤلفاته في المغازي ، فقد نشر ( أدورد سخاو ) قطعة واحدة منها « تحتوي على حديث أو أكثر من كل جزء من أجزاء الكتاب العشرة ، وذلك في سنة (١٩٠٤م) بالنص العربي مع ترجمة ألمانية »[٤] .

ويمكن أن نشير إلى الملاحظات الآتية ، عن منهج موسى بن عقبة في تدوين السيرة النبوية :

١ - إنه وضع قوائم بأسماء الصحابة المهاجرين إلى الحبشة ، والمشاركين في بيعة العقبة ، والذين شهدوا بدرًا ... وغيرهم[٥] ، وهذا يعد من السوابق التاريخية .

٢ - إن نظام الإسناد عنده كان قاعدة « فلا يحذف الرواة في المقتبسات المحفوظة عنه ، إلا في القليل منها »[٦] ، وأكثر من أسند عنه هو جده لأمه لأمه ( أبو حبيبة ) ، فقد روى عنه حوادث متأخرة وقعت عام ٩١هـ[٧] ،

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ٢٤١/٣ ، ١٠/٨ ، ١١ ، ١٧١ ، ١٩٠ ، ١٩١ وغيرها .

(٢) الطبري ، تاريخ ( على التوالي ) : ٢٢٧/٣ ، ٢١٣/٤ ، ٣٦٦ ، ٤٦٤ -٤٦٥ .

(٣) الأصفهاني ، الأغاني ١٦/٣ .

(٤) ينظر : هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ٧١ . نصار ، نشأة التدوين التاريخي ، ص ٥٣ .

(٥) ابن حجر ، تهذيب ٣٦١/١٠ . وينظر : نصار ، نشأة التدوين ، ص ٥٤ . شاكر ، التاريخ والمؤرخون ، ص ١٥٩ .

(٦) هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ٧٢ .

(٧) الطبري ، تاريخ ٤٦٤/٦ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأكثر من الرواية عن الزهري ، حتى قيل« كتاب موسى بن عقبة عن الزهري من أصح هذه الكتب »[١] .

٣ - كان في بعض الأحيان يستعين بمدونات موجودة عنده ، بمثابة وثائق أصلية يحتفظ بها ، وقد قال موسى بن عقبة في ذلك :« وضع عندنا كريب ( مولى ابن عباس ) حمل بعير ، أو عدل بعير من كتب ابن عباس ، قال : فكان علي بن عبد الله بن عباس إذا أراد الكتاب كتب إليه : ابعث إليَّ بصحيفة كذا وكذا ، قال : فينسخها فيبعث إليه بإحداهما ... »[٢] ، كما كان لديه نصوص أخرى - قد تكون أصلية - كالرسالة التي وجهها النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوى ...[٣] .

٤ - وضع مادته التاريخية وفق تسلسل زمني حولي ، مثل الذي فعله عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، وبذلك يكون قدم لمدرسة المدينة خدمة جليلة في تطور التدوين التاريخي[٤] .

٥ - لم يكن يستشهد بالشعر إلا نادرًا في مروياته ، أو مدوناته التاريخية[٥] .

.

**محمد بن إسحاق** (ت١٥١هـ) : محمد بن إسحاق بن يسار المُطَّلِبيّ ، المدني ، أبو بكر ، وقيل : أبو عبد الله ، المحدث ، صاحب السيرة[٦] ، يعد أبرز علماء عصره في السيرة والتاريخ ، وهو عمود المدرسة المدنية[٧] ، وقد غطت شهرته كل المصنفين في المغازي ، سواء من سبقه أو عاصره ، ولا يوجد دليل قاطع على تاريخ ولادته ، ويرجح أنها حوالي سنة ٨٥هـ ، وكان جده يسار من أهل ( عين التمر ) في العراق ، ولما حرر المسلمون هذه المدينة أُخذ أسيرًا ، وساقته الأقدار

(١) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٣٦١/١٠ .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ( ط ليدن ) ٢١٦/٥ .

(٣) هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ٧٣ .

(٤) قارن : شاكر : التاريخ والمؤرخون ، ص ١٥٩ . نصار ، نشأة التدوين التاريخي ، ص ٥٥ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات ( ط ليدن ) ٢٤١/٣ . وينظر : هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ٧٣ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات ( ط ليدن ) ٢٧٥/٦ . خليفة ، الطبقات ، ص ٢٧٠ ، ٣٢٦ . الخطيب ، تاريخ بغداد ٢١٤/١ .

(٧) ينظر : هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ٧٥ . شاكر مصطفى ، التاريخ والمؤرخون ، ص ١٦٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ليصبح مولى لقيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ، لذا فقد نسب ابن إسحاق إلى هذه الأسرة ، فقيل : المُطَّلِبيّ[١] ، مولاهم .

مكث محمد بن إسحاق في المدينة ما يقرب من ثلاثين عامًا ، يتلقى العلوم المختلفة على شيوخها ، فقد أدرك كثيرًا من التابعين وأخذ عنهم ، منهم : أستاذه ابن شهاب الزهري ، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم ، والقاسم بن محمد ، وأبان بن عثمان ، ومحمد بن علي بن الحسين ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الرحمن بن هرمز ، ونافع مولى عبد الله بن عمر ، ويزيد بن رومان الأسدي ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وهشام بن عروة ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وصالح بن كيسان المدني ، وغيرهم كثير[٢] .

وروى عنه جماعة منهم : يحيى بن سعيد الأنصاري ، ويزيد بن أبي حبيب ، وهما من شيوخه ، وجرير بن حازم ، وإبراهيم بن سعد ، وابن عون ، وشعبة ، والسفيانان ، وابن إدريس ، وزياد البكائي ، وسلمة بن الفضل ، ويونس بن بكير ، والثلاثة الأخيرون هم أشهر رواة السيرة عنه .

برز محمد بن إسحاق في علوم عدة ، منها : علم الحديث ؛ الذي يبدو أنه أول العلوم التي اهتم بها ، ولا سيما أن والده كان محدثًا ، أما هو فقد ذكر عن إبراهيم بن حمزة قال : كان عند إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق نحو من سبعة عشر ألف حديث[٣] .

شهد له العلماء بالأولية في الحديث ، يقول علي بن المديني :« مدار حديث رسول الله ﷺ على ستة ، فذكرهم ، ثم قال : فصار علم الستة عند اثني عشر ، أحدهم ابن إسحاق ...[٤] .

وقد أشاد بعلمه شيخه الزهري ، يقول أبو بكر الهذلي : سمعت الزهري يقول :« لا يزال بالمدينة عِلْمٌ جَمٌّ ما كان فيهم ابن إسحاق »[٥] .

---

(١) الطبري ، تاريخ ٤١٥/٣ . وينظر : الحكيم ، محسن عيسى ، محمد بن إسحاق ، مجلة آداب المستنصرية ، العدد ١٤ ، السنة ١٠٨٥ ، ص ٢٧٦ .

(٢) الخطيب ، تاريخ بغداد ٢١٤/١ . ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٣٨/٩ -٣٩ .

(٣) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٤١/٩ .

(٤) الخطيب ، تاريخ بغداد ٢١٩/١ . ابن سيد الناس ، عيون الأثر ٨/١ .

(٥) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ٢١٩/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

غير أن أهم علم تميز به هو : علم المغازي والسير ، ولقد أثنى عليه العلماء لما برز به في هذا العلم واشتهر ، يقول الإمام الشافعي :« من أراد أن يتبحَّر في المغازي ، فهو عيال على محمد بن إسحاق »[١] .

وروي عن علي بن المديني قال :« سمعت سفيان يقول : قال ابن شهاب - وسئل عن مغازيه - فقال : هذا أعلم الناس بها ، ويعني ابن إسحاق »[٢] ، وقد وصفه ابن النديم بأنه « صاحب السيرة »[٣] .

والحق ما قاله هؤلاء عن هذا العالم في المغازي والسيرة ، فقد وصلت إلينا عنه « أقدم سيرة تكاد تكون محفوظة بكاملها »[٤] ، وقد أطلق على هذه السيرة المتكاملة عدة أسماء ، فقد سمى ابن سعد كتابه ذلك باسم : ( كتاب المغازي )[٥] ، بينما سماه ابن النديم : ( كتاب السيرة والمبتدأ والمغازي )[٦] ، وهو وهو عند المقدسي : ( كتاب المبتدأ أو المغازي )[٧] ، وأما ما ذكره الخطيب البغدادي ، فإنه يدل على أن ما ألفه ابن إسحاق هو كتاب واحد ، وذلك بطلب الخليفة المنصور ، قال :« صنف محمد بن إسحاق هذا الكتاب في القراطيس »[٨] ، والراجح أنه ألف كتابين منفصلين ، أحدهما : المبتدأ ، والآخر : السيرة[٩] ، ويمكن أن نَعُدَّ كتابه في السيرة قسمين ، الأول : المبعث ، والثاني : : المغازي . وهذا التقسيم أسلم ؛ لأن كتابه الأول الخاص بالمبتدأ يكاد يكون مستقلاً عن الثاني ، الذي ينصب على دراسة السيرة النبوية ؛ ( حياة النبي ﷺ قبل الهجرة وبعدها ) ، وسيأتي توضيح دلالات هذا التقسيم بعد قليل .

---

(١) المصدر السابق ٢١٩/١ . السيوطي ، طبقات الحفاظ ، ص ٨٢ .

(٢) الخطيب ، تاريخ بغداد ٢١٩/١ . ابن سيد الناس ، عيون الأثر ٨/١ -٩ . وقد - - - دفاعه عن ابن إسحاق في المصدر نفسه ١٠/١ -١٧ .

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٠٥ .

(٤) ينظر : الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ص ٢٧ . قارن : هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ٧٥ -٧٦ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات ( ليدن ) ٢٧٦/٦ .

(٦) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٠٥ .

(٧) المقدسي ، البدء والتاريخ ٨٤/١ .

(٨) الخطيب ، تاريخ بغداد ٢٢١/١ .

(٩) ينظر : الدوري ... ، دراسة في سيرة النبي ومؤلفها ابن إسحاق ( مستل من بحوث دورة مجمع اللغة العربية ) ، ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٥ ، ص ١٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

**منهجيته في تأليف السيرة :** عُرف عن محمد بن إسحاق : أنه جمع بين أسلوبين في الكتابة التاريخية ، هما : أسلوب المحدِّثين ، وأسلوب الإخباريين ( القصاص ) ، وهذا بحد ذاته يعد خروجًا عن منهج مدرسة المدينة التاريخية ، الذي كان يعتمد أسلوب المحدِّثين فقط ، ومن إلقاء نظرة سريعة على تآليفه نتبين الملاحظات الآتية :

١ - في كتاب المبتدأ : الذي بدأ فيه منذ الخليقة حتى نزول الوحي على النبي محمد ﷺ :

أ - يأخذ مقتبسات كثيرة فيه عن وهب بن منبه ، وروايات تنسب إلى ابن عباس ، وعلى مصادر يهودية ومسيحية ، ونص الكتاب المقدس نفسه ، فضلاً عن رجوعه إلى آيات القرآن الكريم[١] .

ب - يتميز هذا الكتاب بالأسلوب القصصي ، فقد ركَّز فيه على القصص التاريخي ، كقصص الأنبياء مثلاً ، وقصة أصحاب الأخدود ، وقصة أصحاب الفيل ... ، وقد حفظ لنا الطبري بعض هذه القصص من المبتدأ في تاريخه وتفسيره ، وبخاصة ما يتعلق بقصص الأنبياء[٢] .

ج - إن هذا الكتاب يغطي فترة طويلة ، تبدأ من آدم ( قصة الخليقة ) ، وتنتهي إلى الفترة القريبة من البعثة ؛ حيث الكلام فيها عن ديانة أهل مكة ، وأجداد الرسول ﷺ[٣] . كما يُنظر إليه أنه ينقسم إلى فصول : الأول : من أحداث الخليقة إلى عيسى ، أو إسماعيل عليه السلام ، والثاني : تاريخ اليمن في العصور القديمة ، ويحتوي على قصة أصحاب الأخدود ، وقصة أصحاب الفيل ... وغير ذلك ) ، والثالث : يتناول الحديث عن القبائل العربية ، وعبادة الأصنام ، أما

---

(١) ينظر : هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ٨٤ . الحكيم ، محمد بن إسحاق ، مجلة آداب المستنصرية ، ١٤ ، ١٩٨٦ ، ص ٢٩٠ -٢٩١ .

(٢) الطبري ، تاريخ ١/١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ٢٥٤ ، ٢٧٤ ، ٢٠٩ ، ٣٢٢ ، ٣٦٦ ، ٣٨٥ ، ٤٣٣ ، ٤٤٣ ، ٤٦٤ ، ٥٣٦ ، ٢٤/٢ ، ٣٢ ، ١٤٨ ، وغيرها . وينظر : ما أورده ابن هشام عن أجداد الرسول ﷺ وديانة أهل مكة : السيرة ٧٦/١ وما بعدها .

(٣) الطبري ، تاريخ ١/١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ٢٥٤ ، ٢٧٤ ، ٢٠٩ ، ٣٢٢ ، ٣٦٦ ، ٣٨٥ ، ٤٣٣ ، ٤٤٣ ، ٤٦٤ ، ٥٣٦ ، ٢٤/٢ ، ٣٢ ، ١٤٨ ، وغيرها . وينظر : ما أورده ابن هشام عن أجداد الرسول ﷺ وديانة أهل مكة : السيرة ٧٦/١ وما بعدها .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الرابع : فقد خصَّصه لأجداد الرسول صلى الله علي وسلم ، والديانة في مكة[١] .

د - يُسجل على كتاب المبتدأ : عدم وجود الإسناد إلا نادرًا ، لا سيما ما يتعلق بأحداث الخليقة ، وقصص الأنبياء .

هـ - وأخيرًا فإن كتاب المبتدأ حُفظ في بطون الكتب التاريخية ، فقد أورد الطبري أجزاء منه في التاريخ والتفسير - كما سبقت الإشارة - ، وأورد المقدسي قطعة منه في كتابه ( البَدء والتاريخ ) ، تتعلق بخلق آدم ، واختتم القطعة بقوله :« هذا كله من قول محمد بن إسحاق صاحب المبتدأ والمغازي »[٢] ، وكذلك حفظ الأزرقي في تاريخ مكة أخبارًا تتعلق بإبراهيم الخليل ، وولده إسماعيل وأبناء إسماعيل ، وأخبار خزاعة ، وقصي - الجد الأعلى للرسول ﷺ - ، ومسألة نصب الأصنام في الكعبة ، وحديث الفيل ، ... وغير ذلك »[٣] .

٢ - أما كتاب المغازي : الذي يتضمَّن أحداث عهد النبوة في المرحلتين المكية والمدنية ، فيلاحظ عليه ما يأتي :

أ - إن في هذا القسم زيادة الاهتمام بالأسانيد ، ففي مرحلة المبعث يبدو الاهتمام أقلَّ ، ثم يزداد كثيرًا في أحداث العهد المكي ، وعند الحديث عن الغزوات ، مثال ذلك : في أخبار المبعث ؛ أورد ابن إسحاق سندًا كاملاً عند حديثه عن ابتداء نزول جبريل عليه السلام على النبي ﷺ[٤] ، في حين تجاهل إيراد السند عند حديثه عن فترة الوحي[٥] ، وعند حديثه عن عدوان المشركين على المستضعفين ممن

---

(١) ينظر : ابن هشام ، السيرة ٧٦/١ ، ٩١ ، ١١٠ . نصار ، نشأة التدوين ، ص ٦٦ . (هورفتس) ، المغازي الأولى ، ص ٨٤ -٨٥ .

(٢) المقدسي ، البدء والتاريخ ٨٣/٢ -٨٤ .

(٣) الأزرقي ، تاريخ مكة ، مثال ذلك : ٢٢/١ ، ٣٩ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٨٢ ، ٩٦ ، وغيرها .

(٤) ابن هشام ، السيرة ٢٣٥/١ وما بعدها .

(٥) المصدر السابق ٢٤١/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أسلم[١] ، وفي أحيان أخرى يكتفي بقوله :« حُدِّثتُ عن فلان ( كابن عباس ) مثلاً - »[٢] ، وفي مواضع يقف في سنده عند التابعي ، دون أن يرفعه إلى الصحابي ، فمثلاً عند حديثه عن قصة استماع قريش إلى قراءة النبي ﷺ قوله :« وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حُدِّث : أن أبا سفيان ، وأبا جهل ... »[٣] .

ويزداد اهتمامه بالسند في أحداث الغزوات - كما أسلفنا - فمثلاً عند حديثه عن غزوة بدر الكبرى ، يرتفع عدد السند إلى أربع طرق ؛ من صغار التابعين ، عن أحد كبار التابعين ، عن الصحابي ... فهو يقول :

« حدثني محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ( كلهم ) عن عروة بن الزبير ... عن ابن عباس ... كلٌّ قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم ... »[٤] .

ب - كان ابن إسحاق في بعض الأحيان لا ينسب الخبر إلى أحد ، أي يبقي مصدر الخبر مجهولاً ، فترد عنه عبارات مثل :« حدَّثني من لا أتَّهم ، أو : حدثني بعض من يروي الحديث ، أو : فزعم بعض أهل الرواية ، أو : وحُدِّثت ، أو : فزعموا[٥] . وكان ذلك مجالاً لنقد الناقدين لابن إسحاق ، لا سيما من المحدِّثين ؛ الذين يهمهم ذكر مصدر الخبر أو الحديث[٦] .

ج - إن الذين روى عنهم ابن إسحاق جُلُّهم مدنيون ، وأهمهم : الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد ، وهؤلاء الثلاثة هم عماد رواياته في السيرة ، حتى قيل :« إن قلب

---

(١) المصدر السابق ٣١٧/١ .

(٢) المصدر السابق ٣٠٨/١ .

(٣) المصدر السابق ٣١٥/١ .

(٤) المصدر السابق ٦٠٦/١ . وينظر : هورفتس : المغازي الأولى ، ص ٨٦ ، ص ٨٨ وما بعدها . الدوري ، دراسة في سيرة النبي ، ص ١٧ .

(٥) هذه النصوص - على سبيل المثال - هي على التوالي : ابن هشام ، السيرة ١٥٦/١ ، ١٥٧ ، ١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٩ .

(٦) ينظر : الخطيب ، تاريخ بغداد ٢٢٠/١ . أيضًا : الدوري ، دراسة في سيرة النبي ، ص ١٩ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مغازي ابن إسحاق يتألف من أحاديث الزهري ، وعروة ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر »[١] .

وأكثر من رَوى عنه من بين هؤلاء هو الزهري ، فهو يكثر من عبارة : ( حدثني الزهري ... ) أو : ( حدثني محمد بن مسلم الزهري ) ، أو : (سألت ابن شهاب الزهري ...) أو : (وذكر ابن شهاب الزهري ...)[٢] ، وكذلك أخذ عن نافع مولى عبد الله بن عمر[٣] ، وعن الزبيريين ، مثل هشام ويحيى ابني عروة بن الزبير ، وعمر بن عبد الله ، ويحيى بن عباد ، ومحمد بن جعفر ، وهم جميعًا أبناء إخوة عروة بن الزبير ، وأخذ كثيرًا عن مولى آل الزبير ، مثل يزيد بن رومان مولى عروة ، ووهب بن كيسان مولى الزبيريين أيضًا[٤] .

د - اتبع محمد بن إسحاق في عرضه للغزوات المنهج التفصيلي ، فهو يذكر أسباب الغزوة ، مع ملخص للمحتويات في المقدمة ، ثم يتبعه خبرًا جماعيًا ، مؤلفًا من أقوال أوثق شيوخه[٥] ، ويورد أخبارًا فردية حدثت في الغزوة تتعلق ببعض الأفراد المشتركين بها ، ويضمنها آيات قرآنية ، وأشعارًا ، وغير ذلك .

هـ - يورد قائمة بأسماء المشاركين في الغزوات حسب عشائرهم وبطونهم ، مع شيء من التفصيل في المعارك الأولى ، وقائمة أخرى لمن استشهد منهم ، ومن أُسِر في معركة بدر ، وأخرى لمن شارك فيها من المسلمين[٦] ، ومن استشهد منهم فيها[٧] ، فضلاً عن جداول بأسماء

---

(١) الدوري ، دراسة في سيرة النبي ، ص ١٧ .

(٢) أمثلة ذلك : ابن هشام ، السيرة ٣٧٢/١ ، ٤٣٤ ، ٦٨٣ ، ٧١٢ ، ٣/٢ ، ٨ ، ٢٠٧ ، وغيرها .

(٣) المصدر السابق ٤٧٤/١ .

(٤) الخطيب ، تاريخ بغداد ٢١٤/١ -٢١٥ . ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٣٢٥/١١ .

(٥) ينظر : هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ٨٦ .

(٦) ابن هشام ، السيرة ٦٧٧/١ وما بعدها .

(٧) المصدر السابق ٧٠٦/١ وما بعدها .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بأسماء المشاركين فيها من المشركين[١] ، ومن أسر منهم فيها[٢] .

ثم جداول أخرى ؛ منها جداول بشهداء أحد من المسلمين[٣] ، وأخرى بقتلى المشركين[٤] ، وشهداء المسلمين بالخندق ، وقتلى المشركين[٥] ، وأخرى بمن استشهد من المسلمين بخيبر[٦] ، وأخرى وأخرى بالمهاجرين الذين رجعوا من الحبشة بعد فتح خيبر[٧] .

كان يروي الشعر ضمن الأخبار التي يوردها في كتابيه : (المبتدأ) و (المغازي) ، وإذا سلمنا ببعض ما ورد من شعر في مرحلة المغازي ؛ فإن ما ورد من شعر في أخبار المبتدأ يكاد يكون بعيدًا عن الصحة ، ولذلك فإن بعض القدامى انتقدوا ابن إسحاق على ذلك ، ومنهم محمد بن سلام الجمحي الذي يقول عن ابن إسحاق : « كان من علماء الناس بالسير ، فنقل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها ويقول : لا عِلْم لي بالشعر ، إنما أُوتَى به فأحمله ، ولم يكن ذلك له عذرًا ، فكتب في السير من أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرًا قط ، وأشعار النساء ... ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود ، أفلا يرجع إلى نفسه فيقول : مَن حَمَل هذا الشعر ومن أداه منذ ألوف السنين ؟»[٨] ، والله تعالى يقول : ﴿وأنه أهلك عادًا الأولى ، وثمود فما أبقى﴾ .

وذهب لمثل هذا ابن النديم إذ يقول : « ويقال : كان يُعمل له الأشعار ، ويُؤتَى بها ، ويُسألُ أن يدخلها في كتابه في السيرة فيفعل ، فضَمَّن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر ... »[٩] .

---

(١) المصدر السابق ٧٠٨/١ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق ٣/٢ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق ١٢٢/٢ -١٢٧ .

(٤) المصدر السابق ١٢٧/٢ -١٢٩ .

(٥) المصدر السابق ٢٥٢/٢ -٢٥٣ .

(٦) المصدر السابق ٣٤٣/٢ .

(٧) المصدر السابق ٣٥٩/٢ -٣٧٠ .

(٨) ابن سلام ، طبقات الشعراء ( ليدن ) ، ص ٤ .

(٩) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٠٥ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وقد حفظ الطبري بعض القصائد التي ذكرها ابن إسحاق من عهد عاد وثمود في كتاب المبتدأ[١] ، أما ابن هشام فقد حذف الكثير من هذا الشعر في تهذيبه لسيرة ابن إسحاق[٢] ، وذكر بعضًا منها وبيَّن رأيه فيها ، فهو عندما يورد الشعر الذي رُثِيَ به عبد المطلب عندما حضرته الوفاة من قبل بناته قال - أي ابن هشام - : « ولم أرَ أحدًا من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر ... »[٣] ، ويؤخذ على ابن إسحاق أيضًا : نقله عن أهل الكتاب ، ويسميهم في كتابه : ( أهل العلم الأول )[٤] .

والواقع فإنه رغم الملاحظات التي ذُكرت عن سيرة ابن إسحاق إلا أنها - قياسًا على ما كتب في السيرة النبوية - أتمُّ هذه الأعمال وأشملُها وأفضلُها ؛ لتوثيقه لها بإسناد الروايات ، وحسن العرض والتنظيم ، وما تضمنت من القوائم الكثيرة ، وما حوت من الوثائق والأشعار ، وقد قيل في عمله هذا : إن جمع هذه المادة وحدها وترتيبها جهد كبير ، وإن كان سبقه في ذلك أُناس ، ولكنه ربما لا يكون أول من عرض جميع فترات النبي ﷺ باتساع في كتابه فحسب ؛ بل وسَّع أيضًا تلك الترجمة ؛ بجعلها تاريخًا للرسالة عامة ، وأدخل فيها حياة الأنبياء المتقدمين أيضًا[٥] .

وقد وصلت إلينا كتب ابن إسحاق في السيرة : ( المبتدأ ) و ( المغازي ) ، عن طريق رواة عديدين ، بعضهم ضاعت رواياتهم ؛ كإبراهيم بن سعد المدني الزهري ، ومحمد بن عبد الله بن نمير النفيلي ، المتوفى سنة ٢٣٤هـ بحران[٦] ، ومن الروايات الروايات ما بقي ، فأشهر النسخ المروية عن تلاميذه عندنا هي نسخة زياد بن عبد الله البكائي (ت١٨٣هـ) فقد اعتمد ابن هشام على هذا المؤلف ، فهذَّبه ونقَّحه بحيث صار المعول عليه[٧] ، واعتمدها كل من الطبري واليعقوبي من المتقدمين ،

---

(١) الطبري ، تاريخ ١/٢٢٠ -٢٢١ ، ٢٢٣ -٢٢٤ ، وغيرها .

(٢) ينظر : الدوري ، دراسة في سيرة النبي ، ص ٢١ -٢٢ .

(٣) ابن هشام ، السيرة ١/١٦٩ .

(٤) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٠٥ .

(٥) هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ١٥ .

(٦) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٠٥ .

(٧) السخاوي ، الإعلان ، ص ٥٢٦ ( ضمن علم التاريخ ، لروزنتال ) .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

، والسهيلي في الروض الأنف ، وغيره من المتأخرين[١] ، كما اعتمد الطبري على راو آخر لسيرة ابن إسحاق ، هو : سلمة بن الفضل (ت١٩١هـ) ، وثمَّة راوية ثالث منهم ، هو : يونس بن بكير الشيباني (ت١٩٩هـ) وروايته هي التي اعتمدها الحاكم النيسابوري في المستدرك ، وابن الأثير في (أُسد الغابة) ، وابن حجر العسقلاني في (الإصابة)[٢] .

**أبو معشر السندي** (ت١٧٠هـ) : نجيح بن عبد الرحمن المدني السندي ، يقال : إن أصله من اليمن ، كما حدث بذلك حفيده داود بن محمد قال : « حدثني أبي : أنه كان أصله من اليمن ... »[٣] ، ولعله يرجع أصله إلى البصرة ؛ لوجود محلة بها بها تعرف بالسِّنْد يسكنها كثير من السِّنْدِيِّين ، لأنها الميناء الذي يُخرَج منه إلى بلادهم[٤] .

نشأ أبو معشر بالمدينة ، وتتلمذ على شيوخها ، فقد روى عن سعيد بن المسيِّب ، ونافع ، ومحمد بن كعب ، وطائفة ، وأخذ عنه ابنه محمد ، وسفيان الثوري ، وابن مهدي ، وخلق ... »[٥] .

وقد اصطحبه الخليفة المهدي معه إلى بغداد ، وذلك سنة ١٦٠هـ ، ليكون بحضرته ويُفَقِّه من حوله ، وبقي فيها إلى وفاته سنة ١٧٠هـ[٦] .

وعلى الرغم من موقف بعض المحدثين منه ، إلا أنه في عدادهم ، كما ذكر ذلك غير واحد ، فقد وصفه ابن النديم بأنه « ... أحد المحدِّثين »[٧] .

غير أن شهرته في المغازي كانت أوسع صدى من غيرها ، وقد شهد له بذلك كبار العلماء ، منهم : الإمام أحمد بن حنبل إذ يقول : « كان بصيرًا بالمغازي »[١] ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٥٢٦ .

(٢) ينظر : هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ٨٧ . شاكر مصطفى ، التاريخ والمؤرخون ، ص ١٦٣ .

(٣) ينظر : ابن سعد ، الطبقات ( ط بيروت ) ٤١٨/٥ . ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٤٢٠/١٠ .

(٤) هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ٩٧ ، حاشية (٢) .

(٥) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٤٢٠/١٠ -٤٢١ . السيوطي ، طبقات الحفاظ ، ص ١٠٦ .

(٦) ينظر : ابن سعد ، الطبقات ( ط بيروت ) ٤١٨/٥ . خليفة ، طبقات ، ص ٢٧٤ . ابن حجر ، تهذيب ٤٢١/١٠ .

(٧) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٠٥ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

، ويقول فيه الخطيب البغدادي :« كان من أعلم الناس بالمغازي »[٢] ، وقال ابن النديم :« عارف بالأحداث والسير »[٣] . وقال الخليلي :« أبو معشر له مكانة في العلم والتاريخ ، وتاريخه احتج به الأئمة »[٤] .

وقد اقتبس ابن سعد والطبري من مؤلفات أبي معشر السندي ما يخص حوادث عصر النبوة ؛ فالطبري نقل عنه ما يتعلق بدعوة النبي ﷺ لقريش في ناد لها[٥] ، وبَعثَ النبيِّ ﷺ أبا بكر أميرًا على الموسم ، سنة تسع للهجرة[٦] ، غير أن ما رُوي عنه من أحداث التاريخ الإسلامي عند الطبري أكثرُه في تاريخ الخلافة الراشدة ، مثال ذلك : إنفاذ أبي بكر لجيش أسامة ، ورواية عن إمارة الموسم سنة ١٣هـ ، وأخرى عن طاعون ( عمواس ) سنة ١٨هـ ، وخبر عن فتح ( قيسارِيَّة ) ، وآخر عن فتح مصر ، وغيرها[٧] ، ثم تزداد الروايات كثيرًا عن أحداث هذه المدة وما بعدها[٨] .

فإذا رُتبت الروايات الواردة عند الطبري ترتيبًا ؛ نرى أبا معشر قد غطَّى بهذه الروايات مدة طويلة من التاريخ الإسلامي ، فآخر ما يقتبس عنه الطبري خبرًا في حوادث سنة ١٧٠هـ ، يتعلق بوفاة الخليفة موسى الهادي[٩] ، وبذلك يتجلَّى لنا : أن أبا معشر ألَّف كتابًا في التاريخ ، عَرَض فيه الحوادث التاريخية للعصور المختلفة عرضًا حوليًا ، وصل به إلى ما قبيل وفاته بقليل .

---

(١) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٤٢٠/١٠ .

(٢) الخطيب ، تاريخ بغداد ٤٢٧/١٣ .

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٠٥ .

(٤) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٤٢٢ .

(٥) الطبري ، تاريخ ٣٤٠/٢ .

(٦) المصدر السابق ١٢٣/٣ .

(٧) عن الروايات أعلاه يراجع على ترتيبها : الطبري ، تاريخ ٢٤٠/٣ ، ٤٧٩ ، ٦٠/٤ ، ٩٦ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، وغيرها .

(٨) أمثلة ذلك : الطبري ، تاريخ ١١٣/٤ ، ١١٤ ، ١٤٦ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٩٤ ، ٢١٤ ، ٢٤٢ ، ٢٥٠ ، ٢٦٧ ، ٢٨٨ ، ٣٠٤ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٤٠٥ ، ٤١٦ ، ١٣٢/٥ ، ١٤٣ ، ١٥٢ ، ٣٠٠ ، ٣٢٤ ، ٤٠٠ ، وغيرها .

(٩) المصدر السابق ٢١٣/٨ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

اعتمد السندي في منهجيته على الإسناد - في الغالب - عند حديثه عن المغازي ، في حين لا يعتمد الإسناد - في الغالب - إن كان في التاريخ[١] ، وهو يرد ضمن إسناد جماعي عند الواقدي[٢] ، ونأخذ رواية من أخبار المغازي لنرى فيها الإسناد : « ... حدثنا أبو معشر ، قال : حدثنا محمد بن كعب القرظي وغيره ، قالوا : بعث رسول الله ﷺ أبا بكر أميرًا على الموسم سنة ... »[٣] . ورواية تتعلق بالخلفاء الراشدين ، ليس فيها إسناد بعده ، أي ينتهي الخبر عنده ... عن مدة خلافة علي رضي الله عنه ... ، « حدثني أحمد بن ثابت قال : حُدِّثتُ عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، قال : كانت خلافة علي خمس سنين إلا ثلاثة أشهر »[٤] .

**الواقدي** (ت٢٠٧هـ) : أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد ، ولد في سنة ثلاثين ومئة[٥] .

نشأ الواقدي في المدينة المنورة ، ودرس بها على مشاهير العلماء ؛ كالإمام مالك بن أنس ، ومحمد بن العجلان ، وابن أبي ذئب ، وأسامة بن زيد بن أسلم ، وأبي معشر المدني ، وأبي بكر بن أبي سبرة ، وفليح بن سليمان ، وعبد الحميد بن جعفر ، وأفلح بن حميد ، وغيرهم ممن أخذ عنه الحديث والفقه والسيرة وغيرها . وأخذ عنه : محمد بن سعد ؛ ( كاتبه ) ، وابن أبي شيبة ، والحسن بن عثمان ، وعبد الله بن الحسن الهاشمي ، ومحمد بن يحيى الأزدي ، والصاغاني ، وغيرهم[٦] .

قضى الواقدي معظم حياته في المدينة ، وبها اشتهرت منزلته العلمية ، فلما حج الرشيد (١٧٠ -١٩٣هـ) ، لعل ذلك كان سنة ١٧٠هـ[٧] ، اصطحبه معه

---

(١) ينظر : هورفتس ، المغازي الأولى ، ص ١٠٠ .

(٢) الواقدي ، المغازي ، أمثلة ذلك : ١٩٩/١ ، ٣٤٦ ، ٤٠٤ ، ٥٧١/٢ ، وغيرها .

(٣) الطبري ، تاريخ ١٢٣/٣ .

(٤) المصدر السابق ١٥٢/٥ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات ( ط ليدن ) ٣٢١/٥ . ابن قتيبة ، المعارف ، ص ٢٢٦ . ابن النديم ، الفهرست ، ص ١١١ .

(٦) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٥٤/٩ -٤٥٥ . السيوطي ، طبقات الحفاظ ، ص ١٤٩ .

(٧) الطبري ، تاريخ ٢٣٤/٨ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ليدُلَّه على المواضع والمشاهد ، وقد أكرمه الرشيد إثر ذلك وأمر له بصِلَة[١] ، وبعد هذا الحدث بنحو عقد من الزمان قصد الواقدي العراق بعد أن ألمَّ به الدهر ، وذلك سنة ١٨٠هـ[٢] ، ولقي هارون الرشيد هناك فأجازه ، ثم عاد إلى المدينة ، ولم يمكث بها طويلاً ؛ إذ شخص إلى العراق ثانية ، واصطحب معه عائلته هذه المرة فأقام فيها ، وولي القضاء ببغداد ، يقول ابن النديم :« وولي القضاء بها للرشيد بعسكر المهدي »[٣] ، وذلك في سنة ١٨٧ أو ١٨٨هـ[٤] ، ولما آلت الخلافة إلى المأمون (١٩٨ -٢١٨هـ) أقره على القضاء ، فذكر ابن سعد أن الواقدي توفي وهو على القضاء ببغداد[٥] ، وكانت وفاته عشية يوم الاثنين ، لإحدى عَشرَة ليلة خلت من شهر ذي الحجة ، سنة سبع ومئتين[٦] .

بلغ الواقدي منزلة علمية رفيعة في المدينة ، ووجَّه اهتمامه منذ نشأته الأولى إلى دراسة المغازي ، حتى إذا بلغ بها شأنًا أخذ يُدَرِّسُها في مسجد رسول الله ﷺ ، فقد نُقل عن المسيبي قوله :« رأيت الواقدي يومًا جالسًا إلى أسطوانة في مسجد المدينة وهو يُدَرِّس ، فقلنا :أي شيء تدرِّس ؟ فقال : حزبي من المغازي »[٧] ، وفي رواية إبراهيم الحربي :« ...فقلنا أي شيء تُدَرِّس ؟فقال :جزئي من المغازي... »[٨] .

ولم يكتف بدراسة المغازي نظريًا ، بل دَرَسَها عمليًّا وميدانيًا ؛وذلك بزيارة مواقع المعارك ، وأضرحة الشهداء والآثار ، يقول الواقدي عن ذلك :«ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ، ولا مولى لهم إلا وسألته :هل سمعت أحدًا من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل ؟ فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع ، فأعاينه .. »[٩] .

---

(١) ابن سعد ، الطبقات ( ليدن ) ( أورد قصة كاملة وطويلة لزيارة الرشيد ولقائه بالواقدي ) ٣١٥/٥ وما بعدها .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ( ليدن ) ٧٧/٧ .

(٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١١١ .

(٤) ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٣٦٤/٩ .

(٥) ابن سعد ، الطبقات ( ليدن ) ٣٢١/٥ .

(٦) المصدر السابق ٣٢١/٥ . ابن النديم ، الفهرست ، ص ١١١ . الخطيب ، تاريخ بغداد ٢٠/٣ -٢١ . وينظر : الكبيسي ، ، منهج الواقدي ( رسالة دكتوراه ) ، ص ٣٣ -٣٤ .

(٧) ابن سيد الناس ، عيون الأثر ١٨/١ .

(٨) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ٤٦٠/٩ .

(٩) الخطيب ، تاريخ بغداد ٦/٣ . ابن سيد الناس ، عيون الأثر ١٨/١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويعلق باحث مُحدَث على هذه الطريقة بقوله :« وهذه تعد طريقة جديدة في الدراسة التاريخية ، حيث إنه أول من قام بذلك ممن كتبوا في المغازي - فيما أعلم -[١] . وبذلك يكون قد أدخل إلى المغازي الكثير من المعلومات الجغرافية ، فكان ذلك إسهامًا منه في وضع اللبنات والأسس التي بنى عليها كل من جاء بعده ، مثل : ابن سعد (ت٢٣٠هـ) ، والبلاذري (ت٢٧٩هـ) ، ومن تلاهما في التأليف لكتب الفتوح والبلدان .

كذلك يُعدُّ الواقدي من روَّاد علم الطبقات ؛« هذا الصنف من التأليف الذي ابتُكر لخدمة علم الحديث ، ليعرف المسلمون من يصح الأخذ عنه من الرواة ومن لا يصح ، كما يساعد على التمييز بينهم من خلال طبقاتهم ... »[٢] .

**منهج الواقدي في التأليف التاريخي :** لو أخذنا كتابه ( المغازي ) ، وهو من أتمِّ كتبه التاريخية الموجودة الآن بين أيدينا ، لرأينا مؤلفه ينهج فيه النهج الآتي :

١ - مراعاة ترتيب تفاصيل الحادثة التاريخية ، فيذكر أولاً عنوان الغزوة ، ثم يأتي على ذكر أميرها ، وتاريخها المحدد[٣] ، وذكر السبب الموجب لها ، والتعبئة ، والخروج ، وطبيعة المسير ، والطريق ، وميدان القتال ، وسيره وطريقته ، والنتيجة ، ورجوع الطرفين كلٌّ إلى بلده[٤] .

٢ - ذِكْر السند في كل غزوة ، أي جماعة الرواة الذي حدثوه عن تفاصيل الغزوة ، ومن الجدير بالذكر : أن الواقدي ذكر أسماء الذين أخذ عنهم أخبار جميع الغزوات في مطلع كتاب (المغازي) ، وعددهم (٢٥) راوية ...[٥] كما أنه استخدم أسلوب الإسناد الجمعي عند الحديث عن كثير من السرايا والغزوات - المهمة منها بخاصة - .

٣ - ذكر بعض التفاصيل الجغرافية عن موقع الغزوة ، فإن ما أورده من التفاصيل الجغرافية ؛ ليوحي بجهده ومعرفته في الأخبار التي جمعها[٦] .

---

(١) الكبيسي ، منهج الواقدي ، ص ٤٠ .

(٢) جونس ، مارسدن ، مقدمة تحقيق كتاب المغازي للواقدي ، ص ٣١ -٣٢ .

(٣) الواقدي ، المغازي - على سبيل المثال - ١٢/١ -١٣ ، ٤٤٠/١ -٤٤١ .

(٤) جونس ، مقدمة كتاب المغازي للواقدي ، ص ٣١ . الكبيسي ، منهج الواقدي ، ص ١١٠ و ص ١٢١ .

(٥) الواقدي ، المغازي ١/١ -٢ .

(٦) جونس ، مقدمة كتاب المغازي ، ص ٣١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٤ - يذكر في الغزوات المهمة أسماء الذين شاركوا في الغزوة ، وأسماء الذين استشهدوا أو قتلوا فيها ، وذلك بإيراده قوائم بهذه الأسماء[١] .

٥ - يضمِّن بعض الغزوات آيات من القرآن الكريم رافقت نزول الغزوة ، على سبيل المثال : غزوة أحد ، غزوة الحديبية ، غزوة تبوك[٢] .

٦ - يستخدم بعض القطع الشعرية في بعض الأحيان[٣] .

٧ - يعكس الواقدي في طريقة توثيقه للأخبار وجهة نظر مدرسة المدينة ، فكثيرًا ما يورد عبارات :« والثابت عندنا » ، و« المجتمع عليه عندنا » أو « القول الأول أثبت عندنا » أو « الأمر المعروف عندنا ، الذي اجتمع عليه أهل بلدنا ... »[٤] . وهذا في الواقع يبرز رأيه الصريح في تقويم الأخبار ، واختيار الأفضل منها .

٨ - وأخيرًا - وليس آخرًا - فإن من الخصائص المميزة لمغازي الواقدي هي : النظام المتكامل للتواريخ ؛ إذ إن كثيرًا منها غير مؤرخ لدى غيره من المؤرخين وكتاب السيرة[٥] .

---

(١) أمثلة ذلك : الواقدي ، المغازي ١/١٤٧ ، ١٥٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠٧ ، ٢/٤٩٥ -٤٩٦ ، ٧٦٩ ، ٣/٩٢٢ ، ٩٣٨ ، وغيرها .

(٢) الواقدي ، المغازي ، على الترتيب ١/٣٢٩ ، ٢/٦١٨ وما بعدها ، ٣/١٠٢٢ ، ١٠٦٠ .

(٣) المصدر السابق ١/١٨٥ -١٨٧ و ٣/٩٥٥ -٩٥٦ ، وغيرها .

(٤) جونس ، مقدمة كتاب الواقدي ، ص ٣٢ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٣٤ . الكبيسي ، منهج الواقدي ، ص ١٢٨ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وبعد ؛ فمن خلال استقراء مناهج هؤلاء الرواد ؛ نجد أن النقاط التي اتفقوا عليها هي :

١ - اتفق جُلُّهم على الأخذ بالإسناد ، واعتماده في روايتهم ، وقلَّ من تساهل في هذا الموضوع .

٢ - إيراد الآيات القرآنية المناسبة للحادثة التاريخية وتفسيرها .

٣ - الاستشهاد بالشعر ، وقد أفرط بعضهم في ذلك حتى عُدَّ عليه مطعنًا .

٤ - التقصِّي التاريخي في الروايات ، لتنسحب على مدة زمنية طويلة .

ولا يعني هذا أنهم نسخ مكررة عن بعض ، فقد انفرد كل منهم بخصيصة جعلته علمًا متميزًا من غيره ، فمما سبق نرى : أن عروة كثير العناية بإيراد الآيات القرآنية ، والإفاضة بتفسيرها ، وأن رواياته قد امتدت حتى العصر الأموي ...

أما عبد الله بن أبي بكر بن حزم فكان من أهم خصائصه : مراعاة الترتيب الزمني في إيراد الروايات التاريخية وتسلسل الأحداث ، والعناية بالوثائق ( كتب النبي ﷺ ) والاحتفاظ بها ... والنقل عنها ، والاستشهاد بها .

وأما عاصم بن عمر بن قتادة فكان أهم ما تميز به انفراده بروايات الأنصار والاكتفاء بها ، والاهتمام الشديد بالأنصار وإبراز مواقفهم المشرفة ...

وأما ابن شهاب الزهري فقد اتبع المنهج التفصيلي الدقيق في الروايات مع التسلسل التاريخي الزمني ، وكذا عنايته بالأوائل ...

وإن سُجِّل عليه : إيراد بعض (القصص الشعبي) وحكايا القصاص .

وأما ابن إسحاق فمما يلاحظ عنده : الاستشهاد بالكتب السماوية السابقة ، والعناية بالقصص ؛ كأصحاب الكهف والفيل والأخدود ، والامتداد التاريخي من بدء الخليقة ، والاعتماد على المدنيين في رواياته ، والإفراط في إيراد الأشعار والاستشهاد بها .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أما أبو معشر السندي : فقد غطى مساحة تاريخية طويلة ، بدأت من بدء الخلق حتى العصر العباسي .

وأما الواقدي : فلعل أروع ما يسجل له : التحري الدقيق عن المواقع التاريخية في الغزوات ، وتسجيل ذلك حتى يمكن أن يعد منهجه بالمنهج الجغرافي لوصفه المواقع والمشاهد ، وزيارتها بنفسه ، وقياساتها وذكر مسافاتها .

كذلك اعتداده بالمدرسة المدنية واعتماده إياها ، كما يمكن أن يعد صاحب النظام المتكامل للتاريخ ، مع ذكر طبقات الرواة والعلماء .

وأخيرًا نتبين أن المدينة قد شهدت روادًا في علم السيرة ، أخذ عنهم من بعدهم ، وأنهم يمثلون مدرسة متكاملة ، تتسم بسمات ، أهمها :

١ - أنها ركزت على المغازي ، حتى عرفت منذ نشأتها بـ ( مدرسة المغازي )[١] ، وذلك لكون المدينة مهبط الوحي ، ولا تقتصر ( المغازي ) على أحداث الغزوات وحسب ، بل تمتد لتشمل جوانب حياة رسول الله ﷺ ، لأن الرسول ﷺ مكث في المدينة ردحًا من الزمن داعيًا وهاديًا ؛ فأقام فيها دولة الإسلام ، فضلاً عن كون الاهتمام بأفعال الرسول ﷺ « للاهتداء بها أو للاعتماد عليها في التشريع ، وفي التنظيم الإداري ، وفي شؤون الحياة ، ضرورة مباشرة ، وطبيعية لدى أهل العلم »[٢] .

٢ - أنها اهتمت بالإسناد ، والواقع أن الإسناد ظهر متزامنًا مع رواية الحديث ، وانعكس بدوره على رواية المغازي ، وتعد المدينة المنورة بيئة الإسناد الأولى ، بخاصة في الثلث الأخير من القرن الأول الهجري ، وخير من يمثله : الإمام الزهري ، الذي يمثل أهل المدينة في تبني الإسناد .

٣ - أنها ارتبطت بدراسة الحديث ، حتى تكاد تكون متفرعة منه ، ولا سيما أن الذين حملوا لواء هذه المدرسة ، وشيدوا صرحها هم : ( المحدثون ) ،

(١) ينظر : الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ص ٦١ .

(٢) ينظر : الدوري ، نشأة علم التاريخ ، ص ٦١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

أمثال : عروة بن الزبير ، والزهري ، وعبد الله بن أبي بكر ، وموسى بن عقبة ، وغيرهم .

ومن خلال دراسة تلك التراجم برزت منهجية رواد علم السيرة النبوية والتاريخ ، وما قاموا به من دور بارز في وضع أساس هذا العلم ، والذي كان اللبنة الأولى لعلم التاريخ كله عند المسلمين .

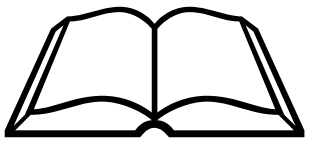

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة